أ د. عقيل حسين عقيل

صُنع المستقبل

تأليف

أ د عقيل حسين عقيل

2017م

المحتويات

المقدِّمة 4

صُنع المستقبل 9

صُنع المستقبل أمل: 18

المستقبل تطلّعا: 34

تدعيم قيم التطلّع: 37

صُنع المستقبل ارتقاء: 43

صُنع المستقبل العمل ارتقاء: 55

صُنع المستقبل تحدّي صعاب: 63

تجاوز الصّعاب بين ثّابتٍ ومهتزٍّ: 69

تدليل الصِّعاب يُمهّد لعملية التطلّع: 72

صنع المستقبل يحدث النُقلة: 85

الشّك يُحدِث النُقلة للمستقبل: 95

صُنع المستقبل كشف المجهول: 101

صُنع المستقبل فيه من الخوارق: 109

صُنع المستقبل معرفة:..... 118
صُنع المستقبل إرادة: 120
صُنع المستقبل مقدرة: 121
المستوى القيمي لصناعة المستقبل: 125
صُنع المستقبل بلا مظالم: 136
استنهاض الخوف صُنع مستقبل: 140
الحوافز تقوي دافعية المشاركة:..... 161
الإمكانات تصنع المستقبل: 170
الإصلاح يهيئ إلى صُنع المستقبل:..... 178
الإصلاح تكاملي شمولي: 200
صُنع المستقبل توافقا:..... 210
مواضيع المؤلّفات..... 232
المؤلّف في سطور..... 243

المقدِّمة

لم يكن القصد من صّنع المستقبل صُنع الزّمن؛ فالزّمن مسلّمة لا يُصنع، بل هو صُنع ما يمكن أن يحتويه الزّمن، وهو المأمول صُنعا، ومن هنا؛ فصُنع المستقبل يتعلّق بما يمكن أن نفّكّر فيه في زمننا الحاضر، ليكون بين أيدينا في الزّمن المقبل، شيئا ملموسا.

فصُنع المستقبل مثل المبنى الذي ينشأ للسّكن الصّحي؛ فهو يبنى ليكون سكنا في المستقبل، لا لأن يكون مسكنا يوم بنائه، هكذا هو المستقبل يُصنع تجاوزا لتلك الأفكار التي نضجت بعد حيرة ومحيّر، وكذلك تجاوزا لتلك الخطط التي رسمت، ليكون الجهد المبذول في الوقت الآني دليلا شاهدا على العمل الذي سينتجه صُنعا.

ولكن من الذي يستطيع صُنعه؟

وكيف له أن يصنعه؟

الحياة كلّها صعاب، فمن يستسلم لها لن يبني مستقبلا له، ومن يتحدّاها فالصّعاب لا يمكن أن تصمد أمام المتحدّين، ولأنّها تُهزم، سميت صعابا، ولهذا فالمستقبل لا يمكن أن يكون مصنوعا ما لم يتمّ تحدّي الصّعاب وقهرها مواجهة.

ولا شيء يقهر الصّعاب إلّا العمل المنتج، وهنا علينا أن نفكّر في أيهما سيكون أصعب تحدّي الصّعاب أم الاستسلام لها؟

تحدّي الصّعاب عملا منتجا، لا يمكن أن يجعل للصّعاب مكانا تقف عليه، أمّا الاستسلام لها؛ فيعطيها الفُسحة ويمكّنها من الجسارة حتى تداهم من لا يعمل في مرقده عوزا، ولهذا عندما تعمل تكسب، وعندما لا تعمل تفقد وتخسر، ويومها تصبح الحاجة تزداد ضغطا عليك، ويومها ليس لك بدّ إلّا التسوّل، أو الالتجاء إلى السّرقة الملعونة، وحينها قد تعرف أنّه لا صعب أكثر ولا أمرّ من مداهمة الحاجة، وستكون من المحظوظين إن عرفت لعلك تنهض لتواجهها تحدٍّ.

وعليه: فكّر في نفسك وما يمكن أن يواجهك من صعاب، قبل أن تأتي إليك الصّعاب وتدق على باب منزلك إن كان لك منزلا، وإن لم يكن لك منزلا؛ فهي أيضا لن تتركك وستأتي إليك لتدقّ على رأس ألما.

ولأنَّ صُنع المستقبل لم يكن مستحيلا؛ فالكثيرون عملوا على صناعته فصنعوه، ولذا عليك بالتفكير فيه، وعليك باتساع مداركك حتى لا تغفل عن شيء منه؛ فإن لم تغفل سيكون الأمر محيّرا له (للصعب) وليس محيرا لك أنت؛ فأنت عندما تفكّر بمدارك واسعة؛

فمداركك تسعك صُنعا وتسع معك من تربطه بك علاقة من زوجة وأبناء وأباء.

صُنع المستقبل لا يتعلّق بالتمنّي، فالأمنيات ستظل أمنيات حتى تُقبر مع أصحابها، بل يتعلّق بالمأمول الذي لا يمكن بلوغه إلّا والأمل من خلفه محفّزا، فأجعل في نفسك وعقلك أملا وأعمل على نيله جهدا يبذل.

وهنا يصبح التطلّع لما هو أفضل ضرورة، ذلك لأنّ حاجات الإنسان متطوّرة، وظروف الحياة بين المتنافسين بين إنتاج واستهلاك؛ فمن يضع نفسه مع المنتجين منافسا يبلغ مأموله، ومن يجلس مع المستهلكين فلا مأمول؛ فخذوا حذركم.

ومن ثمّ؛ فلا حلّ بلا عمل؛ فاعملوا، ولا عمل بلا بذل جهد؛ فابذلوا الجهد النّافع، ولا تقدّم بلا تحدّ؛ فتحدّوا، وعليكم بالخوف؛ فهو المنقذ، أمّا الجبن؛ فلا يليق بمن خلقه الله في أحسن تقويم؛ ولذا فبدون الخوف لا يمكن أن يُصنع المستقبل ولا يمكن أن تحدث النُقلة؛ فالخوف من العوز يدفعك إلى العمل المنتج، والخوف من الله يجعلك من الطّائعين عبادة، والخوف من البرد يجعلك ترتدي الملابس المناسبة لمقاومته، وإن لا تقيك فصناعة التدفئة من الضّرورات النافعة.

ولأنّ صُنع المستقبل ضرورة؛ فينبغي التهيؤ إليه إرادة، ثمّ إعداد العدّة استعدادا، ثمّ التأهّب إليه مقدرة، ثمّ الإقدام بلا تردّد؛ فالتردّد لا يحقّق الفوز في ميادين المنافسة الحرّة.

ولأنَّ صُنع المستقبل وإن واجهته الصّعاب ممكنا؛ إذن الصّعاب لا تخيف، بل الذي يخيف ألا يتمّ تحدّيها.

ولكن كيف يصنع المستقبل؟

الإرادة هي مكمن التّحدّي ومكمن صناعة المستقبل، فإن كانت لك إرادة ومعرفة ومقدرة؛ فلا صعب يتحداك حتى وإن كانت الصّعاب في ذاتها، ومن هنا يُصنع المستقبل بلا مظالم.

وعندما تكون صناعة المستقبل عن إرادة ومعرفة ومقدرة؛ فالأمر قد يتجاوز صناعته بما هو غير متوقّع؛ فهناك من النّاس من فكّر وخطّط وتدبّر أمره لصناعة مستقبل كان يأمله؛ فتمكّن من كشف ما لم يكن مأمولا، ومن هنا تلد الخوارق كونها لم تكن من المعجزات. ومن هنا يُكتشف المجهول كونه موجودا؛ فإن لم يكن على قيد الحياة وجودا ما كان اكتشافه بين اليدين مشاهدا.

إذن صُنع المستقبل لم يكن مستحيلا ولا معجزا، بل هو نتاج الجهد في سبيل بلوغ غاية ونيل مأمول؛ وهو ممكنا للكل، وكلّ وفق

جهده ومعرفته وخبرته وعلمه ومدى تهيؤه واستعداده وتأهّبه، ولذا فدائما صنّاع المستقبل لا يقنطون ولا ييأسون.

ولعل هذا المؤلّف سيكون مصدر استفزاز للعقل الذي غفل عمّا يجب ألا يغفل عنه، ومن ثمّ لعله يلفته إليه تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا حتى يتمكّن من صُنع مستقبلا بعد يأسٍ.

أ د عقيل حسين عقيل

2017م

صُنع المستقبل

المستقبل هو ذلك المعلوم وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، وهو الذي من أجل بلوغه الشّعوب والأمم المتقدّمة تخطّط له وترسم السياسات، أمَّا الشّعوب والأمم المتخلّفة فتضع المستقبل في علم الغيب، ولهذا لا

علم المستقبل لم يكن علم غيب، بل هو الذي سيأتي في حركة متصلة مع إدارة الزمن برهة وساعة ويوما وأسبوعا وشهر وعاما ودهرا وهكذا، فعلم المستقبل هو الذي نعلمه في دائرة الممكن؛ فنحن نعلم أنَّ غدا الجمعة بما أنَّ اليوم هو الخميس، ولهذا نفكّر في يوم الجمعة ونعمل من أجله حتَّى يأتي دون أن نغفل عن السّبت وبقية الأيّام؛ فنكدّ ونجدّ من أجل أن تكون أحوالنا فيها على خير، ولأنَّنا نعلم أنَّ التّعليم يقضي على الجهل ويُحسّن أحوالنا المعيشيّة والصّحيّة والثقافية والاجتماعية والسياسية؛ فنبني المدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي ليكون النَّاس كلّ النَّاس في مستقبلٍ أفضل، ولو لم نفكّر ونعمل من أجل المستقبل فلماذا نستنشق الأكسجين؟ ولماذا نقي أبداننا من البرد القارص؟ ولماذا نصلّي ونصوم ونزكّي إن لم يكن كلّ ذلك من أجل المستقبل؟

ألا يكون لأحوال الطّقس قراءات في دائرة المستقبل المتوقّع؟ ألا تكون هناك قراءات دقيقة عن أزمنة الكسوف والخسوف وأماكنه التي يظهر فيها أكثر وضوحا؟ فهل هذا علم غيب!

بالتأكيد لا؛ فعلم الغيب هو الذي لا نعلمه، إنَّه بأمر الله عالم الغيب والشّهادة، أمَّا علم المستقبل هو العلم الذي نعرفه كونه يكمن فيما نعرف من أيّام وأعوام ستأتي بلا شكّ إن لم يصدر عالم الغيب أمرا، وحتَّى النّمل يدرك المستقبل، ممّا يجعله يعمل جادّا في أيّام الصّيف والخريف من أجل أن يخزّن طعاما له لتلك الأيام القارصة التي ستأتي في فصل الشتاء؛ فما بالك بالإنسان الذي يتذكّر ما مرّ به من أزمات في أعوامه المنصرمة أيٍّ كانت هذه الأزمات سواء أكانت غذائية أم مائية أم طبيعية، أم صحية؛ فهذه معطيات تجعله يفكِّر في أعوامه الآتية في يومه هذا كي لا تتكرّر معه التأزُّمات المؤلمة ثانية، ويسلم من الأضرار التي لا تكون إلّا بأسبابها؛ فيتدبَّر أمره تخطيطا وعملا استراتيجيا به تُحدث النُقلة من حالة كانت سائدة بالتأزُّمات إلى حالة الحلّ المخلّص من كلّ أزمة.

والمستقبل ليس ذلك الزّمن المنتظر في ذاته، بل هو ذلك المأمول الذي لا يتحقّق إلّا فيه. ولهذا فالمنتظرون للزّمن في ذاته، لا شكّ أنّ ما ينتظرونه سيكون متحقّقا، ولكن بلا آمال، لأنّه الزّمن المنتظر، وهذا الذي نحن نخشاه وفي شأنه نقول:

لا ينبغي أن تنظروا الزّمن، بل عليكم بانتظار ما تأملون أن يكون تتويجا لما تبدلونه من جهد تكون ثماره إنتاجا بين أيديكم في الزّمن المنتظر (المستقبل).

المستقبل زمن لم يأت بعد، وهو الذي ترسم الخطط وتوضع الاستراتيجيات من أجل بلوغه عملا وإنتاجا ونهضة وتقدّما؛ ممّا يجعل الزّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلا سلبيا. والمستقبل غير منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مساهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول ارتقاء، وهو الذي بدونه لا يجد الأمل حلّا.

ولأجل النّهوض ارتقاء، وجب المزيد من البحث العلمي الممكّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل، وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم؛ فالبحث العلمي ارتقاء يستوجب أسلوبا مرنا، وطريقة تستوعب التاريخ تجربة ومنهجا ووسيلة.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضا؛ والإنسان بين

قاعدة واستثناء لا ييأس، ولهذا وجب العمل الذي يمكّن من بلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد ألأمل فقد المستقبل المنقذ.

ولأنَّ الانحدار بين قاعدتين (حُسن الخَلق، وضرورة الارتقاء)؛ فهو باق ما دمنا باقين، وله الثلث في حياتنا من المورث انحدارا، ولهذا؛ فلا داعي للقلق بما أنّنا نرث الثلثين (خلقا وارتقاء)، ولكن هذا لا يعني: أن نظل كمن ترك له أبوه إرثا ولم يستثمره؛ فانتهى صفرا.

ولأنَّ لكلّ قاعدة شذوذ؛ فلا إمكانية لبلوغ الحلّ كمالا؛ فتلك الجهود عبر التّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاء بغاية إنتاج الفِكْر الممكّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنّ الارتقاء رغبة وأمل؛ فسيظل أملا يسعى في الزّمن المستقبل نهوضا وهو لا يُمكن أن يلاحق إلّا بالعمل إنتاجا وإعمارا وبناء وبحثا علميا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النّاس.

إنَّ التفكّر في المستقبل يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهمية كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجية التي وضعت له اللبنات الأولى، فالمستقبل يعدّ الأرضية الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، وبذلك

يكون التفكّر عنصرا مهمّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدما نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مساهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناءه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعلية تثري التفكّر وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة كي يكون الاتساع المرافق ملبّيا للادراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شمولية مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضا معيّنا يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤيا المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية للكثير من الطموحات وحتى التداعيات التي تخلف انفراجا وإن كان وقتيا إلّا أنّه قد يكون

سببا في حلّ الكثير من المتعلقات المفترضة، كما أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانا بين الحضور الحاصل، إلّا أنّ مكمنها قد لا يبدو واضحا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمة ألا وهي التنظيم المطلوب ضمن هذه الصيرورة، إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون الحذر حاضرا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبلية المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلّ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبيا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه كي يصل التفكّر إلى هذه المرحلة وما بعدها ارتقاء.

وينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب كي تكون الصورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل، فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنا مع التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل تحقيق مستقبل أفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائية تتحكّم بشكلّ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات

الثلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليته؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزا على خلق استمرارية في البحث تتّجه دائما نحو شمولية يتّسع مداها كي تكون متجاوزة لكلّ الأساليب التقليدية التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالفا للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير، لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكا وفوضى معرفية لا تكون نتائجها محمودة أبدا، وفي المقابل تفطين الذاكرة لاحتواء ما يُنتج عبر الزّمن ماضيا وحاضرا، يقود بسلام إلى تطلّع مأمول لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق فهو من باب أنّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرا بالاتجاه الصحيح دون أن تكون له قاعدة يتكئ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة سواء أكانت نظرية أم عملية؛ فتوجه الحذر يكون متماشيا مع هذه الامتدادات كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز تريده.

وعليه يكون التفكّر واقعا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية إلاّ أنّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكلّ لا

يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها البناء المطلوب، لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادا مهمة تساهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق، لأنّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءا مغايرا مبنيا على تشعبات استبطانية وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل أو إيجاد الجديد الذي يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألاّ يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النّاس جميعا حياة أفضل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابية المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزا مهمّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائما إلى وجود خروقات

طبيعية وغير طبيعة، تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل أنفع، وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرا يمنح الإنسان وعيا مستمرا أيضا، ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقا نحو هذه الزيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكرية المطروحة؛ فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلا مستمرا يمنحه ما يشاء، وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل،[1].

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلّا بالتفكّر، ولهذا فعلينا به تخطيطا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا، ومن معرفة المعجز معجزا، ومن معرفة الممكن ممكنا حتى وإن كان غير متوقّعا، ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول وكشف خفاياه.

[1] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 - 135.

ولأنّ الحياة من أجل المستقبل؛ فنحن بنو آدم نتعلّم، ونبحث عن فرص عمل، ونتزوج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرّض لسوء التكيف قد نُطلق عند الضّرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسنّ القوانين والنّظم، ونحدّد الأهداف ونرسم الخطط، ونتطلّع بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد، ولهذا نصوم ونصلي من أجل نيل المستقبل جنّة.

ولذا فالقاعدة هي:

العيش من أجل المستقبل.

والاستثناء هو:

العيش من أجل الآن.

صُنع المستقبل أمل:

المستقبل إذا تمّ قصوره على الزّمن؛ فهو لا يُصنع، ولكن إن نُظر إليه سعة يمكن أن تملى بما هو مأمول ليتم العمل من أجله قبل بلوغه بالتأكيد سيكون المستقبل قابل لأن يُصنع عملا ومعرفة وتخطيطا وأخذ حيطة وحذر. ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، لكنّه اختيار انحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقية أخذته الصّحوة والحيرة

تملأ نفسه ندما؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ولكن لم يتمّ ذلك إلّا بعد نفاذ الأمر وهو الهبوط به والأرض أرضا، ومن هنا أصبحت تلك الحياة الخَلقية، التي خُلق فيها الإنسان الأوّل (آدم) جنّة لم تفارق عقله، وظلّ يأملها؛ حتى جاءت الاستجابة حافظة لأمله في العودة إليها ارتقاء.

فبعد أن كان آدم قد خُلق على الارتقاء خلقا، أصبح الارتقاء بالنّسبة له مجرّد أملٍ. ومع ذلك؛ فالأمل لا يتحقّق إلّا عملا؛ فمن عمل من أجله بلغ مأموله، ومن لم يعمل؛ فلا ارتقاء.

ومع أنّ الأمل بالنّسبة لبني آدم يرتبط بالمستقبل، ولكنّه بالنّسبة لآدم؛ فهو يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقا، ولهذا؛ فالأمل بالنّسبة لآدم هو العودة إلى تلك الجنّة التي فقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا؛ فالأمل مع أنّه من حيث المفهوم واحد، ولكنّه من حيث الدّلالة ليس كذلك، ولذا وجب التفكير في الزّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وبين ماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدوا أنّ الجنّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍ، أمّا الأمل فظل

منقطعا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دُنيا.

وعليه:

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملا يشبع رغبة مرضية ولا تكون على حساب الغير.

. جمّع قواك العقلية والفكرية وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول.

. حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

. انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوّة تصنع المستقبل.

. استعن بمن يمدّك قوّة تُسهم في اختصار الزّمن وتقليل الخسائر.

. أعرف أنّك كلّما أنجزت هدفا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهمية حتى تحدث النُقلة إلى الأفضل المرتقب.

ولهذا؛ فالارتقاء قمّة، هو: ما يُمكّن بني آدم من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) وما يُمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العلّية (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون

على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل؛ فلا معنى للحياة؛ فالله خلق أبانا آدم في النّعيم ليعيش وبنيه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك؛ وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولذلك، ظلّ آدم وزوجه على الرّفعة الخلقيّة حتى أقدما على عمل المعصية؛ فانحدرا هبوطا من تلك الجنّة على الأرض الدّنيا، التي جُرِّدت من الصّفات التي كانت عليها عُليا.

ومن هنا، أصبح الصّعود للقمّة مطلبا وأملا لمن فقد تلك المكانة، وبقي الخَلق الحَسن على ما هو عليه حُسنا، ولكن الأخلاق أصبحت على الاهتزاز تتبدّل من حَسنٍ إلى سيء، وكذلك من سيء إلى حَسن؛ {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}2. فآدم وزوجه شاءا أن يؤمنا وأمل العودة إلى تلك الجنّة لم يفارقهما، ولكن بنيهما

---

2 الكهف 29.

اختلفوا، بل تخالفوا على ما يؤدّي إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الدّونية، حتى بلغ الاقتتال بينهم أشدّه. ومع ذلك؛ فالإصلاح بين المختلفين والمتخالفين لم ينقطع، وكذلك العفو والصفح ظلّا جنبا إلى جنب مع القصاص الحقّ.

فالإنسان ينبغي أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أن يعرف إنّ العمل ارتقاء وحده يطوي الهوة بين الأمل وصاحبه وبين الحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتنوّعة.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، لكنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعدّ هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملا وعملا؛ فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه إرادة وشهوة،

أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاء.

وعليه:

. كلّما تكتشف أنّك على شيء من الخطأ؛ فأعرف أنّ معلومات خاطئة قد علقت بك؛ فتخلّص منها؛ فصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ولا تتردّد.

. الخّلق وحده يمكّنك من الصّمود الموجب، وانعدامه يجعلك في سُفلية؛ فعليك بالخّلق ولا تفارق.

. الأخلاق تجعلك على الارتقاء وتمكّنك من بلوغ ما هو أكثر رُقيّا.

. ثق في نفسك إن أردت التحدّي، ولا تلتفت لمن يريد إغواؤك عثرة من بعد عثرة.

. أعمل والأمل لا يفارقك؛ فالإنسان بلا أمل لا فرق بينه وبين من خُلق في دونية.

. ضع الدّروس نصب عينيك؛ ولا تنسى ذلك الدّرس الذي تركه لنا أبونا آدم عليه السّلام، فهو بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف أنّ ما يُنهى عنه لا يكون إلّا مخالفا للفطرة

الخلقيّة (في غير مرضاة الخالق)، أي: أنّ المنهي عنه، لا يكون إلّا لضررٍ، سواء أكان نفسيا، أم صحيّا، أم خُلقيّا؛ فآدم بعد أن أكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألم، وظل على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه؛ ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنّة ارتقاء، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولذلك؛ فبأفعال المخالفة والمعصية يتمّ استشعار الذّنب؛ فيلد النّدم والألم في نفس من يأمل الارتقاء عمّا وقع فيه من معصيّة، ومن ثمّ، ليس للإنسان إلّا أن يلتفت إلى نفسه استغفارا وتوبة تخرجه من التأزّم إلى الانفراج، وتعيده إلى حيث ما يجب أن يكون عليه ارتقاء؛ فآدم بعد الهبوط على الأرض الدّنيا لم يظلّ له أمل سوى أمل العودة إلى تلك الجنّة التي خسرها بعلل الشّهوة والرّغبة والإرادة.

ومع إنّ الزّمن في أذهاننا مقسّما بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، ولكن التفكير تدبّرا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقينا. ولذلك؛ فالزّمن الحاضر كما يربطنا بما جرى ارتقاء؛ فهو يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواء أكان المأمول قد حدث في الماضي، أم أنّه سيعود إلينا ثانية.

ومع أنَّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، ولكنّ آدم وزوجه انحدرا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما

عرفا أنّ العلّة قد الميت بهما وكانت من وراء انحدارهما هبوطا دونيّا، ندما واستغفرا لذنبهما؛ فتاب الله عليهما، ومن هنا، نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية وهي بالنّسبة لهما هي الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاء.

وهنا يتداخل الزّمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحين هو: تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنّة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنّة خُلقت وجودا في الكون المرتق حيث لا وجود للأيّام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظُّلمة فيه، حيث لا مجال للشّروق والغروب، ولأنّه كذلك؛ فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر، ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي، ليس له من الأيّام إلّا الزّمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيّا لن يجد شيء مسجّلا إلّا في الزّمن الحاضر الذي وحده سيكون الشّاهد الأوّل على الأعمال ثقيلها وخفيفها.

ولذلك؛ فكلّ حياة الإنسان هي زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها، ويتمّ استدعائه من الذاكرة لا يكون إلّا حاضرا في

الزّمن الحاضر. أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدّ أن تسجله الحياة في صفحاتها حاضرا.

فالزّمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثّل في كلّ نقطة من نقاطها المتّصلة، التي عندما يوضع الأصبع على أيّ منها تعدّ هي مركز منتصفها، وفي ذات الوقت تعدّ نقطة نهايتها، وهنا، يعدّ الزّمن كلّه حاضرا، أمّا الأعمال في الزّمن؛ فهي الشّاهدة على من يقوم بها، ولهذا؛ يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة حيث لا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرا.

ولهذا؛ فالآمال هي ما يحتويها الزّمن كلّه؛ فلا تقصر أمالك على المستقبل وحده؛ فهناك من الآمال ما قد أنجز، ممّا يستوجب الأخذ به عبرة وموعظة، أو العودة إليه كنز لا يفنى.

وعند ما تتاح لك فرص الاختيار؛ فلا تتسرّع، وكذلك لا ينبغي أن تتأخر؛ فلكلّ حسابه؛ فلا تغفل.

وعليك أن تعرف أنّ زمن تحديد الأهداف ليس زمن حصاد نتائجها، فزمنها زمن الزراعة والبدر؛ ولذلك؛ فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ، يعملون على إنجازها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن تحقيقها ولا تحقيق الغاية التي

من ورائها، مع أنّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في ذات الوقت بالنّسبة لإنجازها أو بلوغها لا يعدّ إلّا مستقبلا.

ومن ثمّ؛ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا هي ماضي، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنّ الماضي سيظل ماضٍ ولن يعود؟ وإذا كان كذلك؛ فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به، وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا؛ فمن يعمل، ثمّ يزداد نموّا وارتقاء؛ فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، نقول:

إنّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه؛ فمن شاء بلوغه؛ فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاء؛ ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الورى، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوء وإبداعا منتج لكلّ جديد مفيد يرتقي بالنّاس إلى تلك الجنّة، وحيث ذلك الماضي الذي خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم قمّة.

فالزّمن متصّل بلا فواصل، وما يسمّى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا يزيد عن كونه فواصل من عندنا، وليس من عند الزّمن؛ فالزّمن هو الزّمن حاضرا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تُعدّ السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت

موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملا وارتقاء، وبين من خفّت موازنه انحدارا؛ حيث لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلا.

ولذا؛ فَخَلق الكون مُرتقا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاء، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطا، لا يلغي في دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة. {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}3.

يُفهم من هذه الآية، إنّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونا أوّلا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنّه فرصة؛ فلا ينبغي أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا؛ فأوّل المغتنمين لها استغفارا وتوبة كان آدم عليه السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن؛ فلا ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودا؛ فهي وجود سابق على من يرغبها أملا لاحقا، ومن هنا؛ فالزّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله، ما يحتويه الزّمن وجودا؛ ولذلك؛ فالزّمن هو الزّمن؛ فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرا.

---

3 العنكبوت 20.

ومن ثمّ؛ فالأهداف التي تصاغ في خِطّة بحثية في الزّمن الحاضر هي الأهداف المأمول إنجازها في الزّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز فيه يكون هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضورا يوم تحديدها وصياغتها.

ولأنّ النّشوء في دائرة الممكن ارتقاء يُمكّن من بلوغ الغايات؛ فالمزيد من التّأهب إليه يُسرّع بحركة إحداث النُقلة مع تسارع امتداد الكون إلى النّهاية؛ ولهذا، لن تستطيع تلك الأنظمة المعيقة للارتقاء أن تصمد أمام التسارع ارتقاء تجاه إحداث النقلة المأمولة، بل كلّ الأنظمة التي رَكِب أصحابها المصاعد إلى الأسطح، ولم يضعوا في حسبانهم أنّه لا نزول إلّا من خلالها؛ فهم صَعدوها بلا سلالم، وبقوا هناك إلى أن أُسقِطَ بهم أرضا.

ومن هنا، كان الفأر أكثر فطنة وذكاء من تلك القمم التي صعدت وبقيت هناك حتى أسقط بها أرضا في الزّمن غير المتوقّع؛ فالفأر ذات مرّة سُئل:

لماذا أيّها الفأر عندما تشعر بخطر تبدأ اللعب بذيلك؟

فقال:

ألا يكون من الأفضل لي أن العب بذيلي بدلا من أنْ العب برأسي؛ فأنا عندما العب بذيلي أفكر، ولكن عندما ألعب برأسي يُلعب بي.

هكذا هي الرّؤوس بلا أمل يُلعب بها، وهكذا هي الفأران تفكّر؛ فتنجو، ولذلك فالعيش بلا أمل ممكن، ولكن لا حياة بلا أمل، ذلك لأنّ الحياة لا تكون إلّا والأمل يملؤها، أمّا العيش فلا فرق فيه بين حيوان وإنسان، ولكن ما هي الحياة أمل؟ ومن هو الإنسان أمل؟

أقول:

الحياة الأمل هي التي لا يهدّدها الزّوال، وهذه لا تُبلغ إلّا إذا تجسّد الأمل عملا محفّز بالرّغبة والإرادة. ولهذا فمن يعمل من أجل بلوغها يصنع لنفسه أملا لا يموت حتى يورّثه لمن خلفه.

أمّا الإنسان الأمل؛ فهو الذي يولِّد من الفكرة فكرة تخرجه ومن معه من التأزّمات وتصنع لهم مستقبلا يحدث لهم نقلة تمكّنهم من عمل الخوارق حتى يعرفوا أنّ المعجز معجزا.

ولذلك فالواعون دائما هم السبّاقون والمبادرون بصناعة الأمل الذي يقرّبهم من رتق الأرض بالسّماء ارتقاء.

وعليه:

. فكّر فيما يجب قبل وجوبه حتى تكون سبّاقا قبل غيرك.

. أعرف أنّ الأمل لم يكن غاية، بل الغاية بلوغ المأمول؛ فاعمل من أجله إن أردته حقيقة بين يديك.

. تحدّى كلّ محيّرٍ حتى تتجاوزه معرفة، وتصبح السُبل أمامك بلا عوائق ولا معيقين.

. أصنع أملا؛ فالأمل لا يصنع نفسه، ولا يأتيك من الغير، وأعرف أنّ المسافة بينك وبينه وإن كانت بعيدة فهي غير مستحيلة.

. فكّر في نفسك حتى تستكشف نقاط ضعفها، لتتجاوزها قبل أن يشار إليك من الغير بما يمكن الإشارة به إليك إحراجا.

. أعمل بحيويّة وتفاعل إن أردت القضاء على الملل المعيق لك من بلوغ المأمول.

. عرّف من لك علاقة بهم أنَّ الصّعوبات لا تصمد أمام الصّامدين في سبيل تحقيق أمالهم، وحفّزهم على التحدّي، ذلك لأنَّ قبول التحدّي لما يؤلم يمكّن من بلوغ ما يدخل البهجة.

. تجاوز بهم قصور التفكير عند المتوقّع رتابة إلى ذلك غير المتوقّع الذي تملأه الحيوية بما يرشد إله من جديد أكثر وضوحا.

. لا تصدّق ما تسمع؛ فإنْ صدقت ما استمعت إليه وكأنّه المسلّمات فقد تقع في السُفلية والدّونية كما وقع فيها أبونا آدم عليه السّلام حينما غرّر به إبليس؛ فكانت النتيجة مؤلمة (خروجه وزوجه من الجنّة).

. تأكّد أنّ وراء كلّ هدف أهداف أخرى لا يمكن أن تعرف إلّا بعد إنجاز ما قد حدّد هدفا.

. تأكّد أن وراء كلّ هدف من الأهداف التي تمّ تحديدها غرض ووراء كلّ غرض أغراض جديدة.

. تأكّد أنّ وراء الأغراض غايات، ووراء الغايات غايات أعظم منها؛ فلا تملّ ولا تقنط.

. تأكّد أن التقدّم خطوات فأسرع تقدّما دون التسرّع.

. أعمل على صناعة الأمل؛ فالأمل يصنع بلا يأس.

. تأكّد أنّك على القوّة، ولكن عليك بمعرفة أنّ قوّتك لن تخرج عن دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) ولهذا؛ فلا إطلاق لقوتك، ومن هنا يكون الضّعف والوهن، ومن هنا، يجب الاستعانة بالغير

لاستمداد أفعال القوّة الممكّنة من إنجاز ما يفوق القوّة الفردية، ولذلك فالآمال العظام تحتاج لتكاتف الجهود، ولا استغراب.

. الأمل دائما لا يتحقّق إلّا بتهيؤ الآملين (تهيؤ نفسيا وعقليا وبدنيا وصحة وتعليما وتأهيلا وتدريبا؛ فعليك بمزيد من ذلك إن أردت بلوغ آمل عريضة.

. أعرف أنّ الأمل لا يأتي إليك أبدا، بل الأمل تسعى إليه؛ فأسعى فهو ممكن التحقّق، ولكن عملا.

. بلوغ المأمول يستوجب عدة وإعداد لها، فعليك بإعداد العُدة الممكّنة من بلوغ المأمول.

. الأمل يستوجب حوافز ودوافع حتى لا يتسلّل الملل إلى العقل والقلب والنّفس البشرية، وخير الحوافر والدّوافع (الرّغبة) حيث لا عمل ولا أمل بلا رغبة، ذلك لأنّ الأعمال والأمل بدونها تصبح أمنيات ليس إلّا. ولهذا؛ فالأمنية شيء لا يستوجب الإقدام عملا، أمّا الأمل لا يكون إلّا والعمل أداته تخطيطا وتنفيذا مع وافر الرّغبة.

. الأمل عملا يستوجب الاستعداد إليه تأهّبا وعدة وإعداد ومن ثمّ استعدادا يُمكن الآمل من بلوغ أمله.

. الأمل يستوجب متأهّبا للإقدام على الفعل الممكن منه أملا، وذلك من خلال تنفيذ ما رسم من خطّة أو استراتيجية قد أعدت من أجل بلوغه.

ولسائل أن يتساءل:

آلا تكون العلاقة بين الآملُ وأملهِ علاقة غاية؟

أقول: لا.

الأمل لا يزيد عن كونه شعور مرغوب، ولكنّه في حاجة لما يشبعه، أي: هناك علاقة بين الآمل وأمله، وهذا الأمر يجعل من الأمل حلقة وصل بدونه يكون اليأس هو ما تمتلي به المسافة بين الآمل وما يمكن أن يكون له من آمل، ولذا؛ فإن حدث ذلك؛ أصبح الفرد أو الجماعة في مراحل الأمنيات وليس في مرحلة الآمال.

إذن وجب الارتباط بين الآمِل والمأمول بأمل لا يأس فيه. ومن أراد مزيد من الآمال؛ فعليه بمنابعها؛ فهي لا تستمدّ إلّا منها. إنّها الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النّاس.

المستقبل تطلّعا:

هو المستوى القيمي الذي يجعل الشّخصية في حالة ميل من المستوى الذاتي إلى المستوى الموضوعي، ويجعل علاقاتها الاقتصادية

علاقات مجتمعية لأجل خدمة الجميع دون تمييز أو تحيز، ولأنها تعتمد على التحليل المنطقي فإن الاكتشاف العلمي سيكون من مميزاتها الموضوعية والإبداعية، ولهذا فهي في حالة رغبة للعمل المنتج لأجل إبراز قدراتها المتميزة عن غيرها من العاملين أو المنتجين، ولأنّها شخصية متطلعة للمستقبل فإنّها تميل إلى التّعرف المباشر على التقنية، ولذلك لا تتأخر عن الاتصال لأجل استعارة التقنية التي ترى فيها معطيات التّقدم ومبررات العصرنة، إنّها الشخصية المنسجمة القادرة على التوفيق بين ظروف المجتمع ومتغيرات الحداثة.

ولهذا فالشّخصية المتطلعة هي التي تتطلّع لِما هو أفضل على مستوى الذّات ومستوى الآخر. الاعتدال في قول الحق منطق، الاعتراف به اعتراف بما ينبغي، وإنكاره إنكار للحقيقة، مع العلم أن إنكار الحقيقة لا يُلغيها، وعليه أن الشّخصية المتطلِّعة هي التي تتمسّك بحقوقها وتمارسها، وتؤدّي واجباتها وتتحمّل مسؤولياتها، وتعترف بأن للآخرين ما يماثل ما لها. فهذه الشخصية تعيش حالة التقمّص حيث تستعير شخصية الآخر وتسعى للذوبان فيها، باعتبارها القدوة التي تعتقد إنّها الأفضل، وهذا يدلّ على أن الشّخصية في حالة تطلّع لِما ينبغي أن يكون، وبالمنطق ينبغي على الإنسان أن يفكّر ويسعى لأن يكون على مستوى أفضل ارتقاء، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضّرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه

من الاختيار بإرادة، وهذه الظّروف تمكّنه أيضا من الاقتران بذاته ولا ينفصل عنها سواء في حالة التمركز التّام أو في حالة التطلّع لِما ينبغي، هذه هي الشخصيّة المتطلِّعة، التي تحتكم إلى المنطق عند كلّ تصرف، وتنتقي تصرفاتها وأفعالها حسب كلّ ظرف وكلّ حالة، لا تعمم سلوكياتها في المواقف المختلفة، ومن صفاتها الإخلاص في أداء الواجبات والمهام المناطة بها، إنّها الشّخصية التي توصف بذاتية تميل إلى الموضوعية، وذلك لإقبالها على ما يظهر الحقيقة، وحصرها للأهداف الممكنة التحقيق، وسعيها للإنجاز كمتوقّع منطقي. إنّها الشخصيّة التي تميل إلى المشاركة في الأحداث الموجبة، وتبتعد عن المبررات السّالبة، مستوى لغتها الحوار الجامع، الذي لا يعتقد إلّا في الحُجَّة المقبولة بين أطراف الحوار.

إنّها الشّخصية الاستنتاجية القادرة على الاستنباط المعرفي المجرد، حيث تلتجئ إلى التمييز بين المواضيع بمعطيات عقلية أكثر من التجائها إلى التفسير المادّي المباشر نتيجة لتجاوزها مستويات الذاتية الاجتماعية، ولبلوغها مستويات ذاتية تميل إلى الموضوعية. تنتهج الأساليب العلمية في سلوكها المعرفي وتعتمد في أحكامها على المعايير التي تمكنها من التمييز المنطقي. إنها الشخصية الطموحة المتطلعة للأفضل والأجود، وترى أن التحصيل العلمي هو المؤدي إلى الوصول

إلى ما هو أجود أو أفضل، فتبني كل طموحاتها على هذا المبرر القيمي.

تدعيم قيم التطلّع:

يعدّ تدعيم قيم التطّلع هدف بغاية صناعة المستقبل ويؤكّد على الآتي:

. تدليل الصّعاب.

. العمل البنّاء.

. التعاون ارتقاء.

. نضج الشخصية.

. التفاعل الاجتماعي.

. إدراك البيئة المحيطة.

. التطلّع للمستقبل.

. التفكير الحر وبكل إرادة.

. مواكبة حركة التغيّر الاجتماعي والإنساني.

. إشباع الحاجات المتطوّرة.

ومن ثمّ وجب على الواعين ارتقاء والمتخصّصين في ميادين الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية أن لا يغفلوا عن الآتي:

– تحريض أفراد المجتمع على العمل المِمكّن من تدليل الصّعوبات التي تعوقهم وتعرقلهم عن مواصلة تقدّمهم.

– تحفيز أفراد المجتمع على رفع مستوى معيشتهم إلى كلّ ما من شأنه أن يجعلهم قادرين على مواجهه الصُّعوبات وقادرين على تحدّيها بأكثر قدرة حتى يتمكَّنوا من البناء والإنجاز، ومن ثمّ بلوغ الغايات التي من ورائها.

. إسناد المجتمع بالخبرة والمشورة البنّاءة والتخطيط الناجح.

. تبني الأفكار التي تُحفّز على العمل البناء من أجل مواكبة حركة التغير السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي هو في حالة حركة مع حركة الزّمن.

– حث مؤسسات المجتمع وتنظيماته على تحسين الخدمات المقدمة للأفراد والجماعات والمجتمعات من أجل تطوير مستوياتهم القيمية وإحداث التغيير المحقق للتفاعل البنّاء.

– تفطين الأفراد إلى أهمية التعاون المعزز للقوّة والمحقّق لما هو أفضل وأجود وأنفع.

– حث أفراد المجتمع على تبادل الخبرات بما يدفعهم لاستيعاب الجديد والمفيد المحقّق للرقي الاجتماعي والإنساني.

. حث أفراد المجتمع على العمل الذي من شأنه أن يُسهم في رفع مستوى معيشتهم.

. تبني الأفكار التي تؤدّي إلى تحسين الخدمات وما يستحدث من أساليب ميسّرة للعمل المنتج والمبدع.

. التعاون مع المؤسّسات وذلك بتبادل الخبرات والتعرّف على كلّ جديد مفيد تيسيرا لعمليات الإنتاج والتأهيل وكذلك العلاج والإصلاح.

– توعية أفراد المجتمع من أجل تحقيق الشّخصية الناضجة المستوعبة والمتمكّنة من تحقيق الأفضل.

– تمكين أفراد المجتمع من صنع المستقبل الأكثر فائدة وذلك بتعزيز أهمية الشّخصية المتفاعلة المدركة لما هو لها ولِما هو عليها.

. التعاون مع الخبراء في كل ما يفيد أفراد المجتمع وينهض بمستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذّوقية والثقافية.

. تحريض المسؤولين على مواكبة حركة التغيّر الاجتماعي والعمل على تطوير مؤسّسات الدّولة على استيعاب الجديد المفيد والعمل على تطويره إلى الأفضل حتى تعود المنافع على أفراد المجتمع وجماعاته.

. العمل على إحداث النُقلة في الشّخصيات الأنانية أو الانسحابية أو حتى الذّاتية لجعلها شخصيات متطلعة، مع غرس روح الأمل في تحقيق المستوى الموضعي.

. العمل على رفع كفاءة الشخصية لتكون ناضجة مدركة لما حولها.

. تحسيس كلّ مفردة من مفردات المجتمع بأنّها قادرة على المشاركة والإسهام في صُنع المستقبل.

. التعامل مع الصّعوبات التي تواجه العملاء أو المجتمع وفق استراتيجية مرسومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، وإشراك أفراد المجتمع في تنفيذها.

. التأكيد على أهمية الصّحة بالتوعية والإرشاد من اجل التكامل في سبيل أداء الوظائف الاجتماعية، والعيش في بيئة نظيفة خالية من الأمراض والآفات.

. توعية أفراد المجتمع بأهمية الاكتفاء الذّاتي والعمل من بعده على دفع الأفراد والجماعات على ما يُحفزهم على ضمان المستقبل الأفضل وفقا للحاجات المتطوّرة.

. إعداد البرامج الأدبية والترفيهية والعلمية والفكرية وحث أفراد المجتمع على الانخراط في جماعات وتجمعات بشرية وفقا للرّغبة والاهتمام وتمكينهم من ممارسة المناشط المتنوّعة والمتعدّدة والأخذ بأيدي المتفوقين منهم والأكثر مهارة لأجل رعايتهم والاهتمام بتنمية قدراتهم ومواهبهم حتى يُسهموا في إحداث النُقلة الاجتماعية المواكبة لتغيرات العصر وطموحات المجتمع.

. حث أفراد المجتمع الذين يعمل الأخصائي الاجتماعي معهم على التفكير الحر الذي يمدهم بممارسة الحرّية بكل إرادة.

. دفع الأفراد والجماعات على مواكبة حركة التغيّر الاجتماعي والإنساني والتطلّع إلى ما يفيد وينفع.

. عقل الإنسان قوّة، فينبغي أن يُستثمر بلا تردّد، حتى إحداث النُقلة، ولهذا لا يجب أن يستغرب الأفراد والجماعات والمجتمعات فكلّ شيء ممكن. الاستغراب يحدث فقط عندما لا يستثمر الإنسان القوّة التي وهبها الله إليه (العقل). ولهذا في عصر

العولمة أصبح أكبر سوق هو سوق بيع وشراء الفكرة (الفكرة المنتجة لإحداث النقلة).

وعليه:

. حسّن من أساليب تعاملك مع الآخرين.

. أعمل على توفير خدمات أفضل وأهم من التي يقدّمها الآخرين.

. أجعل كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى ما هو أفضل وسيلة لتحقيق طموحاتك المتطوّرة.

. كن متعاونا وحفّز على التعاون وعلى تحسين المنتج وتجويده وعلى ترسيخ القيم والفضائل التي تهذب الأخلاق.

حسَّن أدائك.

استثمر إمكاناتك.

استثمر وقتك.

طوّر أسلوبك.

ضاعف جهدك.

نمي قدراتك.

ادعم قيم التطلّع لديك لتكون قادرا على الآتي.

التحدي.

الإنجاز.

الإبداع.

الابتكار.

التطوير.

دخول سوق المنافسة.

صنع المستقبل.

صُنع المستقبل ارتقاء:

الارتقاء مكانة يُمكن أن يكون الإنسان عليها خَلقا، ويمكن أن يكون عليها قيمة لا تُبلغ إلّا بمزيد من الجهد العقلي والخُلقي، وفي المقابل هناك من يراه تطوّرا يطرأ على الكائنات الحيّة؛ فيغيّر حالتها من دُنيا إلى عُليا، من خلال ما يطرأ عليها من تغيّر في الجينات والسّمات؛ ولكنَّ الجينات الخَلقية لم تكن نتاج تكيف بيئي حتى

تتبدّل وتتغيّر مع تغيّر البيئات، بل هي خاصّيّة خَلقيّة تحافظ على الأجناس، حتى وإن بلغ الإنسان من العلم ما بلغه؛ فلا إمكانية له أن يغيّر الأجناس، وستظل الكائنات على ما هيّ عليه مختلفة، وإن لُعب بها جينيّا، ولكن تحسين وتجويد أنواعها أصبح في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع ارتقاء حتى النّهاية.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فهو مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة، ولأنّه كذلك؛ فالأمل لا يفارقه، ولهذا؛ فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

فالكائنات التي يظنّ البعض أنّها متطوّرة، نعتقد أنّ التطوّر يستوجب إرادة تمكّن من اتخاذ قرار من وسط مجموعة بدائل، وهذه الخاصيّة غير متوفّرة عند الكائنات التي لم تُخلق في أحسن تقويم، ولذلك؛ فالكائنات قابلة لأن تتغيّر، وفقا لقاعدة التكيّف بأسباب الضّرورة الطبيعية، وحتى إن دُرِّب منها ما دُرّب أو عُلّم؛ فهو لن يتطوّر كما هو حال الإنسان وارتقاءه؛ فالإنسان خُلق متميّزا بخصائص وصفات الارتقاء التي لم تكن من خصائص وصفات بقية الكائنات.

ولذلك؛ فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاء يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المنتج، وفي ذات الوقت يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء خُلق في أحسن تقويم، لكنّه بعلّة المعصية والشّهوة والرّغبة قد انحدر هبوطا منذ خلقه الأوّل، ومع ذلك منذ تلك اللحظة التي قُبلت فيها توبته، ظلّ أدم ومن بعده بنوه على الأمل في حاضرهم، ومع إنّه الأمل في الزّمن الحاضر، لكنّه يتعلّق ارتقاء بما هو ماضٍ (تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم)، وهو ما لم يتحقّق بعد.

ولذلك؛ فالتطوّر يمكن أن يكون خاضعا للمشاهدة مثل الإعمار وبناء الحضارات، وهذه من خاصيّة الإنسان التي لا يشاركه فيها غيره، ومن هنا، يُصبح الارتقاء في دائرة الممكن يستوجب بحثا علميّا مضنيا، وجهدا ينجز وفقا للأهداف المحدّدة والأغراض التي من ورائها والغايات المأمول بلوغها قمّة. وفي المقابل يمكن أن يكون التطوّر خاضعا للملاحظة مثل السّلوك وما يطرأ عليه من تغييرات مقصودة، وهذه تشترك فيها كلّ المخلوقات بما فيها من خُلق في أحسن تقويم،

فالإنسان في دائرة الممكن، ارتقاءه القيمي يُرسّخه قيمة في ذاته، قيمة تستوجب مزيدا من الاحترام والتقدير والاعتبار، وذلك بما يفسح له مجال العدل الممكّن من العلم، والعمل، والتملّك، والتمدّد إلى النّهاية دون أن يكون له تمدّدا على حساب الغير.

وهنا؛ فالممكن ارتقاء هو المتاح تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، وهو ما يمكن بلوغه قدرة واستطاعة، وهو ما لم يكن مستحيلا حتى وإن كان صعب التحقّق، وهو الذي ليس له وجودا لو لم يسبقه وجود خَلق ونشوء، ومع ذلك وجوده لا يعدّ إن لم يلاحق الخَلق والنشوء ارتقاء.

ولأنّه الممكِن ارتقاء؛ فهو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فالمتوقّع منه هو الذي بحدوثه، لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ولا توضع علامات التعجّب. أمّا غير المتوقّع؛ فهو الذي لا تتوافر معطيات حدوثه بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، ممّا يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن، ولهذا، إذا ما حدث غير المتوقّع حدثت المفاجأة أو التعجّب والاستغراب.

فغير المتوقّع، يقع أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، ممّا يجعله يقع (هو كما هو) إثباتا. ومن هنا، ينبغي أن يتمَّ التعرُّف على

غير المتوقّع وعلى علله ومسبّباته لاحقا ليتمَّ التعرُّف على نقاط الغفلة، أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المتوقّع.

فالمتوقّع وغير المتوقّع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، التي فيها تتساوى فرص ظهور كلّ منهما بنسبة ثابتة قدرها (50%) والمتوقّع يمكن أن يكون سالبا، ويمكن أن يكون موجبا؛ فالموجب منه لا يكون إلّا وفقا لما هو مأمول، والذين لا يأخذون حذرهم يرسمون خططهم وسياساتهم وفقا لِما هو موجب متوقّع، وكأنَّ الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأنَّ العلائق بين النَّاس لا تُبنى إلّا على الصّدق فقط، ولذلك؛ فهم دائما يفاجئون كونهم لم يحدّدوا لغير المتوقّع موضعا.

وعليه:

ينبغي أن تُرسم الخطط والسياسات والاستراتيجيات وفقا لدائرة الممكن التي تحتوي ما هو متوقّع موجبا وما هو متوقّع سالبا، وما هو غير متوقّع موجبا، وما وهو غير متوقّع سالبا.

وبما أنَّ الممكن ليس مستحيلا؛ فعلى الإنسان أنْ:

. يفكّر فيما يفكّر فيه قبل أن يقرّر ويعمل.

. أنْ يخطّط لما هو غير متوقّع مثلما يخطط للمتوقّع.

. أنْ يعمل ارتقاء بلا تردّد ولا يأس، حتى يُرتَقَ الممكن بالمستحيل قمّة.

. أنْ يقبل تحدّي الصّعاب؛ فالصّعاب تُقهر، ولا مستحيل في دائرة الممكن، ولا استغراب، بل الاستغراب أن لا يتمّ تحدّى الصّعاب التي تحول بين الإنسان وبين ارتقاءه قمّة.

وبالتّالي فمن يرسم الخطط والاستراتيجيات ويعدّ البرامج وفقا لِما هو متوقّع، عليه أن يعرف أنَّ ما يفكّر فيه معرّض لمواجهة غير المتوقّع، ممّا يلفت انتباهه إلى التفكير في غير المتوقّع بخطط بديلة تواجه ما يمكن مواجهته من مواقف أو أضرار أو مخاطر قد تحدث، ولذلك؛ فالزّمن الحاضر هو زمن التخطيط والتدبّر والتذكّر والتفكّر، وهذا يعني: أنّ دائرة الممكن هي التي فيها ينصهر الزّمن حاضرا، أي: إنّ التذكّر الذي يرتبط بما هو ماضٍ، لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وكذلك التفكّر الذي يتعلّق أمره بما لم يتحقّق بعد لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وفي ذات الوقت يتدبّر الإنسان أمره وكأنّه لا يعيش الزّمن إلّا حاضرا. أي: إنّ الذي يتذكّر في دائرة الممكن لا يجب أن ينظر لما يتمّ تذكّره من الماضي وكأنّه لن يتكرّر، بل ينبغي أن يره وكأنّه الآن يواجهه تحدٍّ، ممّا يجعله في وقته الحاضر متحدّيا له بحلولٍ حاسمة، وهكذا، ينبغي أن يفكّر فيما يمكن أن يواجهه مغالبة، حتى لا يحدث

وتحدث المفاجئات المؤلمة التي تؤدّي إلى الانتكاسة أو الانحدار، بدلا من أن تؤدّي إلى بلوغ القمّة ارتقاء.

فالممكن احتمالا يسبق ما يمكن أن يكون محتملا أو غير محتملٍ، ولهذا؛ فلا يتحقّق الممكن إلّا في دائرة الحاضر، حتى وإن أصبح ذلك المتحقّق في دائرة الزّمان مسجّلا؛ فالممكن المتوقّع وغير المتوقّع في زمنه الحاضر يسبق حدوث الفعل، ومن ثمّ، يضل الممكن تحت الانتظار إلى أن يتحقّق أو لا يتحقّق، ومن هنا، يصبح للممكن مصادق تثبت حدوثه أو تبطل حدوثه.

فالممكن في زمنه الحاضر يُلاحق العبر والمواعظ، ويتزامن مع التدبّر، ويسبق المأمول حتى يتمّ بلوغه ارتقاء؛ ففي الزّمن الحاضر لا انتظار لشيء يعود إلّا استدعاء ذاكرة، ولا انتظار لشيء يأتي وهو لم يكن شيئا، ولا شيء يحدث إلّا في الزّمن الحاضر.

وبما أنَّ في دائرة الممكن لا وجود للمستحيل، إذا؛ فمن الممكن التفكير في المستحيل حتى معرفته مستحيلا، وعندها يدرك الإنسان أنّه في حاجة لمزيد من الارتقاء، ومع إنَّ الإنسان يتوقّع ما هو ممكنا، ولكنَّه قد لا يستطيع تحقيقه بأسباب قصور قدرته ومحدودية إمكاناته، وبالرّغم من ذلك؛ فعليه أن يعمل مع من يمكّنه من الارتقاء تحدٍّ؛ فالصّعاب لا تصمد أمام التحدّي.

ولهذا؛ فالإنسان يتذكّر ويتدبّر ويفكّر في كلّ ما من شأنه أن يُظهر له ممكنا، ويمكّنه من إنجازه، أو تحقيقه بغرض الارتقاء إلى ما هو غاية.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكنا؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود؛ فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء. ولذلك؛ فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

وعليه فصُنع المستقبل ارتقاء يستوجب الآتي:

. دفع أفراد المجتمع إلى العمل المنتج الذي يُمكِّنهم من الوفرة التي تُسهِم في إشباع حاجاتهم الضّرورية ليعيشوا حياة تعليمية وصحية واقتصادية مرضية.

. دفع الأفراد إلى ميادين العمل المنتج التي فيها يتمكّنوا من إشباع حاجاتهم للمشرب والمآكل والملبس والتنقّل، وإلا سيظلون في عازه ممّا يجعلهم بعيدين عن محققات الرّفاهية الاجتماعية وصنع المستقبل ارتقاء.

. تفطين أفراد المجتمع إلى ما يؤدّي إلى إشباع الحاجات الضّرورية، وإلى ما يؤدّي من بعدها إلى إشباع الحاجات الكمالية المتطوِّرة.

. دفع أفراد المجتمع إلى زيادة الإنتاج حيث الحاجات المتطوّرة التي تبحث عن مشبعات غير ثابتة، فما كان لا يعدّ حاجة ضرورية في الزّمن الماضي أصبح من الأولويات في هذا العصر، وهكذا هي الحاجات تتطوّر عبر العصور وستظل دائما على هذه الحالة ارتقاء.

. تفطين مؤسّسات المجتمع الخدمية والإنتاجية وهيئاته وشركاته لاستيعاب أفكار العاملين والمتعلمين والاستجابة لمطالبهم المتطوّرة ورغباتهم المتنوّعة مع حركة التغير والتطوّر الاجتماعي.

. تنظيم العلاقة بين رغبات العملاء وبين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، التي قد لا تمكِّنهم من بلوغ مشبعات رغباتهم ما لم يستثمرون كلّ ما لديهم من طاقات مع مضاعفة الجهد المبذول تجاه محقّقاتها.

. تفطين الأفراد من انغلاقهم داخل دائرة الذّات الاجتماعية إلى الانفتاح على الآخرين والتعرّف على ما يمتلكونه من منافع وعلوم وتقنية وتعلمها والأخذ بأسبابها.

. تنمية روح الطموح والتّجدد لدي أفراد المجتمع حتى يتطلّعوا إلى صناعة المستقبل الذي يمدّهم بأسباب بناء الذّات ودخولها ميادين المنافسة والإنتاج العلمي والبناء الحضاري.

. ترشيد الأفراد بما يؤدّي بهم إلى تنظيم حياتهم وتقدير ظروفهم في ضوء الظّروف المحيطة والمتطوّرة، ليكوّنوا علاقات موجبة معها، حتى يتمكّنوا من مواكبة حركة التطوّر والتغير الاجتماعي والإنساني في القرية الصّغيرة.

. استيعاب المتغيّرات الجديدة التي جعلت من العالم قرية صغيرة والترابط مع شبكاتها المعلوماتية لأخذ المزيد المعرفي من أجل تحقيق حياة إنسانية شاملة.

. تفطين أفراد المجتمع إلى اخذ ما هو نافع وترك ما هو غير نافع، فالقرية الصّغيرة مملوءة بالجديد النّافع والجديد غير النّافع؛ فيجب التمييز قبل الإقدام.

. عدم الإغفال عن حقيقة مفادها (أنّ الحياة بطبيعتها في حالة تطوّر) فلا داعي للغفلة.

. تفطين الأفراد إلى استثمار ما لديهم من إمكانات وطاقات والتطلّع إلى ما يفيد من قِبل الآخرين حتى يتمكِنوا من العيش برفاهية واستجمام.

. حث أفراد المجتمع على التطلّع لأخذ المفيد للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والإسراع بهم إلى أخذ المزيد وتطويره.

. دفع الأفراد لمواكبة حاجاتهم المتطوّرة، وعدم التأخر عن ممارسة ما من شأنه أن يُعجِّل من طي المسافات بين النقطة التي هم عليها، وبين محققات الرّفاه الاجتماعي.

. التأكيد على أهمية بلوغ الجديد المفيد الذي يُعزز ثقة الأفراد بأنفسهم وبذواتهم الاجتماعية ويحقّق لهم أبعاد إنسانية في المجالات الاقتصادية والسياسية والنفسية والذّوقية والثقافية.

. تحريض مؤسّسات المجتمع على اختيار المعروض الأجود، ممّا وصل إليه التقدّم العلمي والتقني، والإقدام على تطويره؛ فالقوّة المبدعة في العالم لن تنتظر وستواصل التقدّم والتطوّر؛ فعلى مؤسسات المجتمع وهيئاته وشركاته دخول ميادين السّباق العلمي وإلّا سيضل المجتمع قعيدا في مؤسّسات الرعاية الاجتماعية. ذلك لأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، ولأن إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، تأسست هيئات وجمعيات ومؤسسات دولية إنسانية لتقديم المساعدة لمن هم في حاجة إليها، سواء دول بحالها أو جماعات منها.

ولذا تأتي المخاطر أو تظهر الاشكاليّات من فقدان مشبعات الحاجة المتطوّرة، ولا يتحقّق الأمن والاستقرار والرّضا الاجتماعي إلا بالإشباع؛ فالجوع والخوف والإكراه والانحرافات ذات علائق، وفي المقابل الإشباع والأمن والرضاء هي الأخرى ذات علائق.

ولذا يستقرّ البلد باستقرار أمنه، وارتقاء اقتصاده، وشفافية نظامه، وقوّة إرادة شعبه، وهيبة مشبعات حاجاته، ولذلك فإشباع الحاجات ضرورة فطرية وغريزية.

إذن من باب الضرورة والوجوب لا مفر من إشباع الحاجات البشرية المتطوِّرة عبر الزّمن، ومن يَهمل أو يغفل عن ذلك يجد نفسه في حالة مواجهة مع الذين فقدوا مشبعات حاجاتهم.

وعليه فالقاعدة هي:

. تطوّر الحاجات.

. تطوّر المطالبة بها.

. تطوّر مشبعاتها.

. تطوّر أساليب الإشباع.

صُنع المستقبل العمل ارتقاء:

الارتقاء رفعة عن كلّ ما يؤدّي بأصحابه إلى السُفلية والدّونية، وهو الأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيرة مع وافر التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات، والأديان، كما أنّه الممكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان ولا يقلل من شأنه ولا يحرم من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته. والارتقاء قد يكون بأسباب العلم والثقافة وحسن المعرفة وقد يكون نتاج التربية وتهذيب السلوك ومخافة الله.

والعمل ارتقاء هو الذي فيه تُتبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهم، وهو الذي به يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلالا للجهد الذي به أنجز العمل أو أنتج.

ولأنّ العمل ارتقاء هو المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع أو المنهج الذي يجب أن يؤخذ به، لذا فهو مكمن القيم الحميدة التي تحوّل العاملين من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصّعاب.

فالعمل ارتقاء يستوجب كيفية وكميّة: كيفية من حيث الجودّة، وكمية من حيث ما يشبع دون أن يكون هناك نقص.

إذن العمل ارتقاء يستوجب جهدا يبذل مع خالص النيّة، أي لا عمل ولا إنتاج إلّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريا وقد يكون عضليا وقد يكون فنيّا (خبرة ومهارة) وهذه من مجوّدات العمل ارتقاء؛ فلا ينبغي الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار أصحابها. أي يجب أن تقدّر تقديرا عاليا من حيث الحوافز والدّوافع وكلّ ما من شأنه يشجّع على المزيد أو يشجّع آخرين ليلتحقوا بخانة المبدعين المهرة.

العمل ارتقاء مسؤولية لا يحملها إلّا من هو على دراية ومعرفة بما له وما عليه، أي معرفة بما يجب ويتّبع، وما لا يجب ويجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين وتشريعات العمل والمهنة والوظيفة وحمْل المسؤولية حتى وإن كانت عبء جسيم.

وعليه:

- العمل ارتقاء لا يكون إلّا عن وعي ومعرفة ومسؤولية.
- العمل ارتقاء لا يكون إلّا والأمل لا يفارق عقول المنتجين.
- العمل ارتقاء يحقّق الرّفعة الذّوقية.
- العمل ارتقاء يُحدث النُقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.
- العمل ارتقاء احترام للمهنة.

. العمل ارتقاء حقّ ينبغي أن يمارس.

. العمل ارتقاء واجب ينبغي أن يؤدّى.

. العمل ارتقاء مسؤولية يجب أن تُحمْل.

. العمل ارتقاء حُسن تدبّر ينبغي أن يقدّر.

. العمل ارتقاء نتاج تفكّر فيما يجب وأدائه مهنيّا.

. العمل ارتقاء تجاوز للكسل والاتكالية والطمع.

. العمل ارتقاء حسن أداء وجودة إنتاج.

إذن الارتقاء رفعة وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولا يكون الارتقاء إلّا ببذل الجهد وعن دراية مع سابق تخطيط وفقا للإمكانات الممكنة، ومن ثمّ فلا إمكانية للتقدّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة.

ولذلك فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ا رتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيءٍ، كما

أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يَقدِم المتأخّرين عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنّ الارتقاء لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يَقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته لتكون منافسة لمنتجات الغير، ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّادمين ندما.

فالعمل ارتقاء يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، ولذا؛ فمن رغب مكانة ويأمل تبوئها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل لتكون المكانة فردية وجماعية، {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا

عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}4. فالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام جميعهم يعملون ويحرّضون النّاس على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من تربطه بهم علاقات، {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}5.

وهكذا جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام أرسلوا للنّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبا إلى جنب مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التّاريخ؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق في الجنّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطا من الجنّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة، التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه إرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرّسل يأمل كما أمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق؛ فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

---

4 الأنعام 135.
5 التوبة 105.

وهكذا؛ فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنّه الجنّة، ثم تجاوز القمر كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء، أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها؛ فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، لكنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه ارتقاء.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهلا للارتقاء، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشى شيء سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

ومن هنا؛ فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى.

وعليه: فمن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانية له إلّا بذل الجهد والعمل الذي له من الأهداف ما له وله من الأغراض ما له ومن وراء كلّ ذلك غايات تُبلغ ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها، ولهذا فالرتقاء عملا يحقّق:

. الرّفعة.

. تبوء المكانة.

. القدوة الحسنة.

. الاعتماد على الذّات.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

وعليه:

. تعلّم حتى تجعل الجهل خلفك ولا فرصة له أن يلاحقك.

. أعمل حتى ترتقي وتتبوأ المراكز المتقدّمة.

. تحدّي حتى تخلق لك مستقبل أفضل.

. أجعل المهنة وكأنّها الهواية وعن رغبة واشتياق.

. أتقن عملك حتى يصبح لك هويّة.

. تطلّع إلى الأجود حتى وإن تمكّنت من أداء عملك ارتقاء.

. أعمل فلا قيمة لك إلّا بالعمل ارتقاء.

. الارتقاء لا سقف له؛ فلا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلة لتجلس تحت ظلّها وكأنّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصعود إليها. ذلك لأنّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنّه المهم الذي لا شيء مهم من بعده.

ولهذا فعليك بالعمل، فالعمل الصالح كما يرضي القائمين به جهدا مبذولا فهو يرضي الله، ولكلّ جزاؤه، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}6. أي لكلٍّ حسابه؛ فللعمل الراقي حسابه، وللعمل الواطي حسابة، ولا يظلم أحدا. {نَّ اللَّهَ لَا

[6] الزلزلة 7 ، 8.

يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}7.

صُنع المستقبل تحدّي صعاب:

الصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرا ومزيدا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تدليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، ولكن لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

---

7 النساء 40.

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب) أمّا لاستثناء: (الاستسلام إليها).

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن لتحدي الصّعاب ارتقاء يُمكّن من أداء العمل الموجب، وكذلك هو ارتقاء لمواجهة ما يمكن أن يكون من فعل سالب؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدّافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات، ولذلك؛ فالذين يتهيّؤون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة ، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعدَّ لتحدي الصّعاب وأقدم عليها ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا؛ فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعدادا؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة، ولذلك؛ فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّ من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصّعاب؛ أي لا تحدّي بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. أصّمد فالصّعب لا يصمد. أي عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض، ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحا وتصالحا وعفوا {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[8].

[8] الأحزاب 25.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائما أفضل من البعض، أي: دائما الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ يعملون على إحقاقه تحدّ وقهرٍ للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث أنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة، ولهذا الصعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدون.

. أقبل بدفع الثمن جهدا ووقتا وإمكانات تنال أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرا.

. تحدّى الخوف الذي يقنعك كسلا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب تجد الصّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدّي الصّعاب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذا؛ فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّت فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاح مسانداً.

ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، ولكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

تجاوز الصّعاب بين ثّابتٍ ومهتزٍّ:

الثّابت هو الذي يستمدّ القوّة من رغبة النّاس فيه، وتمسّكهم به قيمة أو مبدأ، أو فضيلة، أمّا المهتز فهو المتبدّل بتبدّل الرّغبة والإرادة والحاجة، ومن هنا، ليس هينا أن يتمّ الاستغناء عمّا آلفته الشّعوب، أو سكن في قلوبهم، ومع ذلك إذا حدث ما حدث ليحول بينهم وبين ما آلفوه؛ فلن يمرّ حاله كما تمرّ السّحب، بل سيقبل البعض مواجهة المتحدي بتحدٍّ؛ ممّا يجعل الانكسار في أحد الأطراف وانهزامه كونه لم يستطع مواجهة الصّعب.

وبطبيعة الأمر بالنّسبة لبني الإنسان كلّ شيء نسبي، أي: كلّ شيء ممكن، فحتى القيم ذات الثبات النسبي هي قابلة للتطوير والتغيير عبر الزّمن حتى وإن صمدت لوقت منه.

والقاعدة هي:

1. فكّر في الثابت.

2. فكّر في المهتز.

والاستثناء:

1. عدم التفكير في الثابت.

2. عدم التفكير في المهتز.

ولهذا، لا فرق بين الثّبات والاهتزاز من حيث أن كلّ منهما نسبي.

والذي جعل كلّ منهما على حالة من النسبية، هو التداخل بين الحركة والسّكون.

ولهذا؛ فالثّبات على حالة من الاهتزاز. والاهتزاز على حالة من الثّبوت، ولو لم يكن الثبات نسبيا ما تغيرنا وتغيرت أحوالنا.

ولو لم يكن الاهتزاز نسبيا ما أصلحت أحوال المنحرفين وعادوا لأداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعية والإنسانية.

ولانَّ كلّ شيء نسبي، إذن كلّ شيء ممكن؛ فلا تستغرب أن يحدث ما لم يُتوقّع أن يحدث.

وعليه: إذا وقع ما لم تتوقّع؛ فعليك بالتعامل معه وفقا للأبعاد القيمية الآتية:

- البعد المهني.
- البعد الديني.
- البعد النفسي.
- البعد الاجتماعي.

. البعد الإنساني.

. البعد السياسي.

. البعد الاقتصادي.

وعليك أن تعرف وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) أن كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته.

وعليه فكّر في الثّابت كما تفكر في المهتز، فكل شيء يتغير. وأعرف أنّ الزّمن كفيل بذلك إذا توافرت العزيمة ورسمت الخطط، ووضعت صناعة المستقبل هدفا رئيسا لإحداث النقلة.

ولأنَّ كلّ ثابت وكلّ مهتز هو في دائرة الممكن النسبي، إذن فالتفكير فيهما يعدّ ضرورة قبل اتخاذ القرار. ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، من حيث: أن 50% من الدّائرة هو ثابت أو متوقّع، وأنّ 50% من الدّائرة هو المهتز أو غير المتوقّع. وهذا يعني: أنّ النسبي سيكون بين موجبٍ وسالبٍ، أي: أنّ الثابت والمهتز كلّ منهما معرّض لأن يكون سلبيا أو إيجابيا، أو أن يكون نتاج الأعمال السالبة أو الموجبة. ولهذا تتداخل الحركة مع السّكون، ويتداخل السّكون مع الحركة.

وبما أنّ نسبة من السّكون في حالة حركة، وأنّ نسبة من الحركة في حالة سكون، إذن لا مطلقية للثبات ولا مطلقية للسّكون.

ولذا فكّر في الثابت حتى تتيقّن، وفكر في المهتز مثلما أن متيقّن.

وبما أنّ الكون في حالة حركة مستمرة؛ فهل هناك ساكن خارج التمدّد الكوني المتسارع؟

وعليه: لو لم يكن الثبات نسبيا، ما تغيّرنا وما تغيّرت أحوالنا. ولو لم يكن الاهتزاز نسبيا ما أُصلحت أحوال المنحرفين، ولما تمكّن الأخصائيون الاجتماعيون من إعادتهم للقاعدة (الإنسان قوّة) فيجب أن يكون الإنسان على القوّة ويقبل تحدي الصّعاب من أجل صناعة المستقبل الأفضل.، ولا يستغرب أنّ (كلّ شيء ممكن).

تدليل الصِّعاب يُمهّد لعملية التطلّع:

وبما أنّ تدليل الصِّعاب يُمهِّد لعملية التطلّع. إذن بطبيعة الحال عدم تدليلها يعيق عملية التطلّع.

وعليه:

. أقدم على إزالة الصّعاب التي تعيق طريقك وتحيطك من كلّ جانب.

. دعّم قيم التطلُّع.

. تعاون مع الآخرين وازداد علّما وخبرة.

. ثق أنك قوّة وتحدى الصعاب.

. أكسر حاجز الخوف.

. نوّع مهاراتك وتطلّع للجديد.

. استثمر إمكاناتك وسابق الزّمن.

. نمي قدراتك في دائرة المتوقّع.

. هيئ استعداداتك لغير المتوقّع.

. اصنع مستقبلا وأحدث النُقلة.

. أجعل لنفسك أمل واعمل على بلوغه ومن ثمّ نيله.

. لا تغفل عن قيم المجتمع الحميدة وفضائله الخيّرة وتطلّع للمعرفة النافعة.

وبما أن الرّغبة في تحسين الأوضاع يُدعم قيم التطلّع للمستقبل الأفضل.

إذن القاعدة هي:

1 . تحسين الأوضاع.

2 . تهذيب الرّغبة الجامحة.

والاستثناء هو:

1 . سوء الأوضاع.

2 . إهمال الرّغبة الجامحة.

ولذلك فإن تَوفُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات التحصيل والإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحا رائعا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقع فقد لا يحقّق ذلك؛ فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذّهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله "هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النجاح؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشّاب ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ عليه الحكيم "من رغباتك المشتعلة، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملئ بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب وفجاهْ ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء الماء ومرّت عدة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء ثم نظر

إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه ما الذي تعلمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلم شيء.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلمت الكثير ففي الثواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائما راغبا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء حيث أن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

وعليه يكمن في قيمة الرّغبة الآتي:

- الطموح.
- التطلُّع.

الإقدام.

التحدّي.

قوة الدّافعية.

الإنجاز.

التفوّق.

. النجاح.

ومن هنا وجب غرس الثقة في أنفسنا ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا صُنع مستقبل، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلا. ولهذا لا ينبغي أن نغفل عن الآتي:

. غرس الثّقة في نفوس أفراد المجتمع، بأنّهم قوّة ولهم ما يميزهم من الخصوصية، وأنّه من الممكن أن يكونوا على أحسن حال إذا ما استثمروا إمكاناتهم.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعية الموجبة من أولويات الدور المهني للأخصائي الاجتماعي، وكذلك من قبل المسؤولين وواضعي الخطط وراسموا السياسات الوطنية..

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها، يعدهم إلى أداء الواجبات على المستوى المجتمعي.

. تنمية قدرات أفراد المجتمع وغرس الثقة بينهم حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعية وفقا للخطط والاستراتيجيات المرسومة.

. تهيئة الاستعدادات الاجتماعية لما يجب والتطلّع بها إلى ما يُحدث النقلة.

. غرس الثقة في المجتمع من خلال مؤسّساته العامّلة، ومن خلال الخطط والاستراتيجيات العامّة، دون الإغفال عن مشاورة أفراد المجتمع وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعات أصحاب الحاجات الخصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد أفراد المجتمع.

. تحفيز أفراد المجتمع على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّساتهم إلى الإقدام على ما يفيد وينفع العملاء والزبائن.

. استثمار الإمكانات البشرية والمادّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. تحسيس أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعية في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحها من البيئة الاجتماعية المحلية، واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. إزالة المخاوف من نفوس أفراد المجتمع وحثّهم على تحدّي الصّعاب التي قد تواجههم وهم يقدمون على تنفيذ خططهم واستراتيجياتهم التي رسموها.

. الإصرار والتصميم الإرادي على صناعة المستقبل في الزّمن الحاضر.

. تأكيد أهمية المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء.

. إزالة المخاوف والظّنون التي قد تعلق بذهن الأفراد أثناء جمع المعلومات وتحليلها أو أثناء تشخيص الحالة وغرس الثقة فيهم ودفعهم إلى التفاعل الموجب المِمكّن من إيجاد الحلول وتعزيزها في أفعال سلوكية.

. دفع أفراد المجتمع وهيئاته ومؤسّساته إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويرها بما يفيد وينمي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لديهم.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق ممّا هو عليه ومن المستقبل الغامض من وجهة نظره.

. تمكّين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك.

ولهذا فالقاعدة هي:

. تنمية القدرات.

. تهيئة الاستعدادات.

. تدعيم الإمكانات.

والاستثناء هو:

. لا يولى اهتماما بالقدرات.

. لا تُهيأ الاستعدادات.

. لا تُدعم الإمكانات.

ولذا وجب غرس الثقة في نفوس العاملين في مؤسّسات المجتمع وهيئاته وجمعياته الأهلية والحكومية. وأن يولي اهتماما بالقدرات والاستعدادات والإمكانات الفردية والجماعية والمجتمعية. ومساعدة الخبراء وقيادات المجتمع على اكتشاف الموهوبين والمبدعين وتحفيزهم على الإبداع وعلى زيادة الإنتاج، وغرس روح المحبّة للدين والوطن والعلم والعمل مع استيعاب الآخر والتطلّع إليه.

وعليه فإن تنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتدعيم الإمكانات يتطلب تخطيطا موضوعيا، من قبل مؤسّسات المجتمع وهيئاته، وقبل أن تُرسم الخطط أو توضع الاستراتيجيات ينبغي أن يتمكّن المخططون من معرفة الإجابة على الأسئلة الآتية:

. ما هي القدرات وكيف تنمى، ومتى؟

. ما هي الاستعدادات، وكيف تُهيئ، ومتى؟

. ما هي الإمكانات، وكيف تُدّعم، ومتى؟

. من هم القادرين على تنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات، وتدعيم الإمكانات؟

. من هم المستهدفين بتنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتدعيم الإمكانات؟

. ما هي الأهداف التي من أجلها تنمى القدرات وتهيئ الاستعدادات وتدعم الإمكانات؟

في ضوء الحصول على إجابات لهذه الأسئلة يمكن رسم الخطط لذلك. وبدون تحديد إجابات واضحة ومحددة، وبدون حصر الإمكانات لذلك تظل الخطط على الورق فقط، ولن تدخل حيز التنفيذ المكلل بالنّجاح، وإذا حاول البعض بالطّرق والأساليب العشوائية فلا مفرا لهم من الفشل المحقّق.

ولذلك فمن يطلب منه أن يكون شريكا في رسم الخطط والاستراتيجيات التي تُسهم في صناعة المستقبل أو إحداث النقلة، عليه أن يطرح هذه الأسئلة على المسؤولين وذوي الاهتمام حتى يتمكّن من المشاركة الفاعلة والناجحة مع الخبراء وقيادات المجتمع، وهيئات ومؤسّسات التخطيط العام في الدّولة. ومن ثمّ ينبغي مراعات الآتي:

. أهداف واضحة حتى لا يظل السّبيل إليها.

. خطط وفقا للإمكانات المتاحة والإمكانات التي قد تتاح وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) لتفادى ما لم يكن في الحسبان.

. تهيئة الاستعدادات النفسية والبدنية والمالية لما هو متوقّع ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثقة في النفس حتى يتم التمكّن من تحدي الصعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. تحديد ظروف البيئية المحيطة بالمؤسّسة أو الوحدة الإنتاجية أو التعليمية للوقوف على ما بها من فرص للعمل أو التعلم أو ممارسة المناشط، وما بها من عوائق قد تحول بين المنفذين للخطط وبين الأهداف المرسومة للإنجاز؛ وذلك لأجل إزالتها من الطريق قبل البدء في تنفيذ الخطط.

. تحديد جدولة زمنية لممارسة أو تنفيذ أي نشاط موضوعي داخل المؤسّسة أو في محيطها البيئي.

. تحديد القوى الفاعلة والقوى المساعدة من البشر الذين يُعتقد أنّهم قادرون على العمل بلا تردّد وبلا مخاوف.

. تتبع مراحل تنفيذ الخطة أوّلا بأوّل.

. تقويم الجهود المبذولة في الفترات الزّمنية المحدّدة، وما تَحقّق من إنجاز جزئي.

وعليه:

نمي قدراتك.

افطن من غفلتك.

أدرك ذاتك.

أسبر أغوار نفسك.

أعرف أسباب ضعفك.

استمد معطيات قوّتك.

خذ بزمام أمرك.

اعترف بأخطائك وأقدم على تغييرها.

قرّر بعد معرفة كافية.

نفّذ بلا تردّد.

أصلح من حالك.

ثق في نفسك يثق الآخرون فيك.

سر بخطا ثابتة صوب الأهداف.

تكلّم بصوت واضح مفهوم ومتّزن.

ثق أنّ قدراتك تمكّنك من أداء عمل أفضل.

حاول حلّ مشاكلك بنفسك، وتهيأ لمساعدة الآخرين.

شارك أفراد المجتمع نشاطاتهم.

ارسم خططا.

عدّ برنامجا لمستقبلك.

لا تقل نعم عندما تريد أن تقول لا.

ولأنّه كلّما توفّرت الحوافز المتنوّعة والمتعدّدة، زادت عمليات التفاعل والمشاركة الإيجابية بين أفراد المجتمع وجماعاته. لذا فإنّ تقوية الدّوافع تتطلّب حوافز متنوّعة ومتعددة، وتتطلب أساليب استيعابية ممتلئة بالذّوق الرّفيع والمرونة المتوازنة. والحوافز تكمن في الآتي:

1 ـ الكلمة الطيّبة.

2 ـ القيم والأخلاق الفاضلة.

3 . السّلوك القدوة.

4 . الفعل الصّادق.

5 . الأسلوب الرّاقي دفئا.

6 . العطاء بدون منّة.

7 . المكافئة الحسنة.

8 . الإرادة الحرّة.

صنع المستقبل يحدث النُقلة:

ولأن نيل التقدير والاعتراف يحقّق النُقلة النّوعية، فهو الممكن من تجاوز المستويات القيمية الثلاثة الواردة في تصنيف عقيل (الذاتية والانسحابية والأنانية) والامتداد إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، الذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسيّة وبالعلائق النفسية والذوقية والثقافية.

ولهذا فالقاعدة هي:

تحقيق النقلة.

والاستثناء هو:

تحقيق التخلف.

ولذا فالاعتراف بما يُبذل من جهود، يؤدّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسية والرّضا النفسي ويغرس الثّقة، التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب، وتمدّه بقوّة الالتزام الأخلاقي الذي يحسّس الآخرين من أهمية العمل على رد الجميل أو الفضل بما هو أجمل وأفضل منه.

ولأنّ التقدير والاعتراف كلّ منهما قيمة، فإنّ نيل كلّ منهما مبدأ، وهنا يؤكد فرنسيس فوكو ياما على أنّ الرغبة في الاعتراف والتقدير باعتبارهما المحركان للتاريخ من وجهة النّظر الليبرالية هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبرالية. وكذلك يؤكد هيجل كيف أنّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التاريخ في معركة دموية من أجل المنزلة.

ولأنّ التقدير والاعتراف يمكنان من إحداث النُقلة النوعيّة، لذا فإنّ النُقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية عند من يبادلك الاعتراف، أو ينتظر أن تقدمه له. فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبودية، يأمل أن يكون سيّده راضيا عنه، ولهذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل التّعب من أجل شيء مهم جدا، هو نيل التقدير

والاعتراف من سيده، بأنّه عبدا مخلصا ومطيعا ومهذبا. ولذا فهو لا ينبسط إلا بانبساط سيّده منه. وهكذا حال المتعلمين الذين يتنافسون على أخذ الصّدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهما ومن ذوي العلاقة بهم ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني وإلّا لماذا يبدلون المزيد من الجهد. وأيضا هكذا حال من يقول الحقّ، ويعدل إذا حُكّم، وحال من يعمل ويزرع ويصنع ويتصوّف أو يتعبد بموضوعية، أو يدخل المنافسات في المناشط المتعدّدة (الرياضية والفنية والثقافية والعلمية والجمالية). جميعهم يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الآخرين الذين هم في محيطهم البيئي.

أمّا الذين يعانون من حالات انسحابية فأمرهم غير ذلك. فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمية التي هم عليها. ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحقّق لهم النقلة.

وعليه:

.كن إيجابيا لتنال التقدير والاعتراف.

.كن متفهّما لتحدث النقلة.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. قدّر الآخرين تنال التقدير منهم.

. ثق أن الاعتراف يحقق قيمة التقبل.

. ثق إن الجحود مفسدة.

. ثق أن مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

وعليه ينبغي على المسؤولين في كلّ المستويات أن لا يغفلوا عن:

. تفعيل منطق النّحن بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد والذين يشتركون في رسم الخطط والاستراتيجيات لمجتمعاتهم.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنّهم مفردات أساسية في الدّولة ولهم حقوق يجب أن تمارسها وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسؤوليات ينبغي أن تحمل، حتى يصبح منطق الجميع نحن سويا.

. التركيز على القيم الاجتماعية التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهمية هذه القيم الاستيعابية، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها، فهذا الأمر يجعلهم في الاحتضان الاجتماعي الذي يمدهم بالدفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم لبعض، وتقبلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيمية ذات أبعاد إنسانية.

. وضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعية والإنسانية بين العاملين والمتعلمين وبين أفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وبين أصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعدّدة ذلك لأن الرّب واحد والدّين واحد.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابية التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، وبين مصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعية.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطية بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيمية أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافية واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسؤولياتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمرية للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعية أو في القرية الصغيرة، حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية أم علائق جيرة أم عمل أم سياسة داخلية أ خارجية أم أمر سلم أم حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعية.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعية إلى أهمية الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أداؤها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (أنّهم لن يكونوا قادرين).

. التأكيد على أهمية ممارسة الديمقراطية بشفافية، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصّعاب وصُنع المستقبل المأمول.

. التأكيد على أهمية الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التمسّك بقيمة الاستيعاب، حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهمية كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة للآخر وحاجته إليه.

. التخطيط إلى كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسؤوليات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيات لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلمية والسياسية والاقتصادية، للتعرف على المتغيرات المستحدثة التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعية والاستفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الاستراتيجيات التي تحقق النقلة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّولية تحقيقا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع.

. ترسيخ لغة ومفهوم (نحن) حتى لا تسري الشخصانية والأنانية في سلوك وأفعال بني الوطن، ذاك لأنَّ كلمتا أنا وأنت تسمح بمسافة امتداد فراغي لتجذب مشاعر الخوف إليها، فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع الأنت لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثقة، التي ينبغي أن تسود بين بني الوطن. ولهذا وجب سيادة (إنا الفرد ينبغي أن اسود بكرامتي، وأنا الحرية ينبغي أن أعم النّاس، وأنا الشفافية ينبغي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِمت به الآدمية. وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النّاس كلّ النّاس الذين لهم حقوق تمارس وواجبات تؤدى

ومسؤوليات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لابدّ أن أقال. وأنت الباطل لابد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ ونحن سويا نحن).

من هنا تتضح قيم (النّحن) الاستيعابية، التي تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

- استوعب النّاس يتم استيعابك.
- اعترف بحقوق النّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.
- قدّر النّاس تنال التقدير منهم.
- عامل النّاس بشفافية تُعامل بها.
- عامل النّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.
- اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسم مشتركا.

ولأنّ التمسّك بالمنطق تمسّكا بالقواسم المشتركة. إذن (التمسّك بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا، ينبغي العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهمية التمسّك بالقواسم المشتركة حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء.

ولهذا يفضّل أن تتمركز قواعد المنطق على ألآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. التقريب القيمي بالقواسم المشتركة.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمرارية علائقية.

. الشفافية وضوح في القول والفعل.

وعليه:

إنَّ تفعيل العلائق الاجتماعية والإنسانية يؤدّي إلى التطلُّع والقّوة والنّمو ويحدث النُقلة. أمّا إهمالها فيؤدي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدّي إلّا إلى الخسارة والانهزام.

ولذا فالتمسّك بحجّة المنطق يستوجب سيادة التفهُّم بين أطراف الحوار الذي به يتم تقدير الظّروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية، فهذه الظروف في طبيعتها لا تتساوى بين الأفراد حيث الفروق الفردية، وحيث الفروق في الإمكانات المتاحة.

ولأنَّ المنطق يستند على الحُجَّة والبرهان وفقا لمعطيات أو مسلّمات تتضمّن حقائق ودلائل وإثباتات موضوعية؛ فإن اعتماد المنطق والحُجَّة بين الأطراف المشتركة في وحدة الموضوع يُعد تمسكا بالقواسم المشتركة بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات.

الشّك يُحدِث النُقلة للمستقبل:

الشّك تخمين في الشيء غير المتأكّد من وجوده أو ظهوره أو صدقه، ممّا يستوجب التبيّن قبل التسليم، ولهذا فالشّك عملية عقلية

تستوجب التوضيح والتبيان حتى يتمّ التصديق أو التسليم بما يقال أو بما تسرد قصصه. ولهذا فما يُقال أو يُسمع يستوجب التأكد منه قبل الحكم عليه أو به. ولذلك تؤسّس الاختبارات والامتحانات المتنوّعة والمتعدّدة على قاعدة الشّك، من أجل اليقين.

ولهذا:

. تأكّد ممّا يقال لك قبل أن تصدّقه تسليما.

. شُك فيما يقال من أجل أن تعرف الحقيقة هي كما هي بلا مؤثرات شخصية.

. تبيّن ما يجب قبل أن تقدم على ما يتمّ التحريض عليه.

. اطلع على ما كُتب أو نشر وفقا لدائرة الممكن قبل أن تكتب ما تهدف الكتابة عنه.

. فكّر قبل أن ترسم خطة.

. ارسم خطة قبل أن تعدّ لها برنامجا.

هذه معطيات علمية، يتمركز الشّك عليها. بدونها لا يكون الشّك شكا، بل يكون الشك ظنا والفرق كبير. بين الأوّل الذي يتعلق بالمستقبل، وبين الثاني الذي يتعلّق بالماضي.

ولذلك فإنّ الشّك يتعلّق بالمستقبل، والظنّ يتعلّق بالماضي. حيث كلّ ما وقع أو حدث أو ظهر في الماضي هو حقيقة سواء أكانت ذات أثر موجبا أم أثر سالبا. أمّا الشّك؛ فاحتمالي التحقّق أو الحدوث.

إي يمتد زمان توقعه من الزّمن الآن إلى الزّمن المستقبل وفقا للمعطيات المتاحة، كأن يُقال لك (فلان من النّاس عمره خمسين عاما وسيفوز في سباق العشرة أميال مع المتسابقين الشبّان). هذا الافتراض في دائرة الشّك لن يتحقّق. ولكن في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع قد يحدث. ومع ذلك وفقا للمعطيات العمرية ينبغي أن أشك حتى يأتي اليقين يوم مشاركته في السّباق.

وعندما يقال لك أنّ العرب سيهزمون إسرائيل في المستقبل من حقّك أن تشكّ وفقا للمعطيات الآنية، حيث العرب في حالة هزيمة، وبالتّالي من حقكّ أن تشكّ في حدوث هذا الأمر وفقا للحال الذي هم عليه في الزّمن الآن.

الشّك مثبت إثبات قاعدة الاحتمالات، ولأن ليس كل ما يقال أو يُسمع دائما في حالة مصادق، لذا يستوجب التأكد قبل الحكم. ولهذا سيظل الشك إلى أن ينفى باليقين.

وسيظل الظنّ إلى أن يثبت باليقين.

ولذا فإنَّ القاعدة هي:

. الشّك احتمالي.

. الشّك يحدث النُقلة.

. الشّك يصنع المستقبل.

والاستثناء هو:

. الشك قطعي.

. الشك لا يحدث النقلة.

. الشك لا يصنع المستقبل.

وعليه:

. شُكَّ حتى تُحدث النّقلة.

. شكّ حتى تصنع المستقبل.

. شُكّ حتى تميّز بين ما يجب وما لا يجب.

. شكّ حتى تعرف الحقيقة.

. شكّ حتى تكتشف القوانين؛ فالمستقبل آتٍ وعليك بتبيّنه قبل أن يصل إليك وأنت لم تحسم أمرك بعد.

. لا تيأس ولا تتراجع.

. سابق الزّمن وأنت تشكّ من أجل المزيد المعرفي البيّن.

. ثق أنّ مستقبلك أمامك؛ فلا تلتفت للظنون.

. ثق أنّك قوّة قادرة على تحدّي الصّعاب.

. أجعل الخوف في نفسك محفّزا على تفادي المؤلم والمفاجئ، حتى تجد نفسك مندفعا لما يجنبّك المخيف.

ولذلك فللخوف فضل على عقولنا؛ فلولاه ما فكّرنا، ولا خطّطنا، ولا صنعنا مستقبلا مناسبا لحياتنا، ولو لم يملأ الخوف نفوسنا ما تخلصنا من المخيف الذي كان في الماضي جاثما على صدورنا. ومن هنا؛ فالخوف يجنّب عمّا يخيف ويؤلم ويوقع في الفخّ، ولهذا لا مستقبل آمن ما لم نؤمن أنفسنا ممّا يخيف مستقبلا.

وإذا تساءل أحد عن المستقبل:

أقول:

. أنّه الذي سيأتي بعد كتاب هذه الكلمة في حالة مواصلتي الكتابة.

. أنّه الفكرة التي ستأتي بعد ما أفكر فيه.

. أنّه الزّمان الذي فيه طموحاتنا وما نتوقّع.

. أنّه الذي من أجله: نتنفس ونشرب، ونأكل ونفكّر، ونتعلّم ونعمل، ونتصّدق ونصلّى، ونحب ونتزوج، وندّخر وفقا لحاجاتنا، ونؤمّن ممتلكاتنا، وهو الذي من أجله الخوف لم يفارقنا.

ولذا لو لم يكن هناك مستقبل، ما كان هناك أمل ولا أماني، ولولاه ما فكّرنا في الآتي:

. فيما يشغلنا.

. من نحن؟

. ما هي إمكاناتنا وكيف نستثمرها مكاسب؟

. ما الذي يجب علينا القيام به؟

. من أجل ماذا نفكّر؟

. من أجل ماذا نتعلّم؟

. من أجل ماذا نخطط ونعمل وننتج؟

. لماذا نهتم بالدراسات والبحوث العلمية ونحاول غزو الفضاء؟

. لماذا نحلل ونستنتج ونستقرأ؟

. لما نخاف؟

. لماذا نتزوج ونطلق؟

. لماذا نصوم ونصلي ونزكي ونؤدّي جميع الفرائض التي ترضينا مع الله تعالى؟

الإجابة على كلّ هذه الأسئلة هي واحدة.

(من أجل المستقبل المأمول).

صُنع المستقبل كشف المجهول:

المجهول معرفة هو الذي لم يكتشف بعد، أو لم يتمّ التعرّف عليه بالرّغم من وجوده، أي: كلّ ما تمّ التعرف عليه، كان مجهولا، ولهذا فلو لم يكن المجهول موجودا ما كانت الإمكانية متاحة لمعرفته.

ومن هنا، ليس كلّ موجود (مخلوق)، هو مكتشف، أي أنّ الإنسان لا يخلق؛ فالخَلق من صُنع الخالق تعالى، ولأنّ الخالق هو الخلّاق، إذن خلق الله كلّ شيء وهو يخلق ما يشاء في كلّ برهة من الزّمن تسليما، ولكن ليس كلّ ما خُلق ويُخلق هو ميسّر للمشاهدة والملاحظة بالرّغم من وجوده، ولذا وجب البحث حتى يتمّ التمكّن من معرفة المجهول الذي يستوجب تصديقا بأنّ وراء كلّ مخلوق خالق.

ومن ثمّ؛ فالمجهول هو ما لم يكن معلوما بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السّابقة؛ فينبغي على البحّاث أن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ؛ فالبحّاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلمية؛ فلن يتمكّنون من معرفة المجهول، بل يتمكّنوا فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم؛ فالفروض وأن عظمت نتائجها؛ فهي لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

أمّا التساؤلات؛ فهي أسلوب بحثي معمّق يمكّن أصحابه من معرفة الجديد المجهول، {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}9؛ فقوله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ!) هو تساؤل، ولم يكن سؤلا، ولم يكن استفسارا؛ ذلك لأنّ السّؤال دائما يلاحق إجابة سابقة عليه، بهدف إعادتها ثانية أو أكثر من ذلك، وكذلك الاستفسار لا يكون إلّا عابرا ومن العموم، أمّا التساؤل؛ فهو يستوجب بحثا علميّا وتقصٍّ دقيقٍ من أجل معرفة المجهول.

---

[9] النبأ 1 - 5.

ولأنّ المشركين يتسألون عن المجهول؛ فكانت المعلومة من العليم، أنّ ما تختلفون فيه، هو: النبأ العظيم الذي يتنزّل تنزيلا، أي: أنّ المشركين كانوا يعتقدوا أنّ ما جاء به محمّد عليه الصّلاة والسلام، لا يمكن أن يكون منه، وهنا كانت علامات الاستغراب تدور في أنفسهم كما تدور بينهم، وهم يتسألون؛ فأنزل الله المعلومة حُجّة، (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)، وستكون الشواهد على ذلك متوالية، وسيعلم الكفار بذلك شواهد دالة على أنّه الحقّ المنزّل، (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ). أي: إنّ المعجز إن تمّ الاستفسار عنه؛ فلا يبلغ إلّا تنزيلا، أمّا الممكن فلا يبلغ إلّا بحثا معمّقا.

ولذلك، وجب تقدير الشّطحات العلمية؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة لما هو مستحيل؛ فالشّطحات عندما تكون موضوعية؛ فهي تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفية التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وبين من ينبغي أن يتمكّن الإنسان من معرفته وإدراكه.

ولذلك؛ فالتّطلّع يُمكّن الإنسان من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ، إذا اردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة؛ فلا ينبغي أن توضع إشارة قفّ، أمام

التفكير العلمي لبني آدم. بل ينبغي أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلا، ولذا؛ فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ؛ فوجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب، ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي أن نعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك إنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة حيث كلّ شيء ممكن حتى وإن كان غير متوقّعا.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني والذوقي، {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[10].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة

[10] الكهف 88.

والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان مطلبا ورغبة واختيار، ولذلك، ينبغي أن يعمل بنو آدم كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلقا، ولأنّه كذلك؛ فلا يكون إلّا إعجازا، حيث لا إمكانية لخلق الشيء شيئا إلّا بمشيء، وحتى أن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أيّام المراهقة والثانوية، وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنّنا نقول الخالق، إذن؛ فلا ينبغي أن نسأل عمّن خلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟ إنّه الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ؛ فكلّ شيء يُخلق؛ فهو ليس بالخالق، ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه؛ فالخالق ليس على الصّورة ليكون موجودا قبل أن يخلق الخلائق، ولذلك؛ فالسؤول ليس في محلّه، لأنّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة، حيث لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في

نفسه وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصّورة، وبالتّالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد عن كونه تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانية له في رؤية عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك؛ فهيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة. ومن هنا؛ فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان؛ فمثل هذا السؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولن عنه كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا؛ فلا ينبغي أن يكون السؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السؤال: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنا، حتى يسأل عنه كيف كان، ولذلك؛ فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن يكون عليها؛ فيكون. وبالتّالي فأيّ كائنا لا يكون إلّا على هيئته ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علما،

ولكنّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن بعد من الخروج عنه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون باعتبارنا جزيء فيه أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق؛ فهو على غير هيئة كونه على غير صورة، وبالتالي لا أمكانية لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السّؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا، فالسّؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه. بل له علاقة بالسّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنّه من نطفة ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم أنّه قاصر عن معرفة كيفيّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف، لعلّك تعرف كيف خُلق، وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق، ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك لعلك تعرف كيف خُلقت، وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق، ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل؛ فإن فعلت ذلك عن وعي، لا شكّ إنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدّد بتعدّد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدّد.

وعليه:

. التعرّف على المجهول يزيد المؤمن ثقة وإيمانا بأنّه لم يؤت من العلم إلّا قليلا.

. البحث عن المجهول يفتح آفاقا واسعة أمام المعارف الإنسانية وينمّي الذاكرة ويحفّزها على المزيد.

. الانطلاق من المعلوم بحثا علميا يمكّن البحاث من إضافة ما كان مجهولا بالنّسبة لهم.

. التعرّف على المجهول ليس بتعرّف على مفقود، بل هو التعرّف على الممكن الذي لم يسبق وجوده معرفة من قبل.

. التعرّف على المجهول ممكنا؛ فأسعى حتى يصبح على يديك إضافة جديدة.

. البحث العلمي يكتشف المجهول ويضيفه إلى المعرفة جديدا؛ فأبحث حتى تكتشف المجول.

. التعرّف على المجهول يستوجب صياغة تساؤلات فعليك بها صياغة.

. الشّطحات العلمية تؤدّي إلى الاكتشاف العلمي فلا تُقولب عقلك وفكّرك ولا تقبل بوضع إشارة قف أمامك أثناء قيامك بالبحث العلمي.

. فكّر فيما هو غير متاح حتى يصبح معلوما.

. ثق أنّ وراء كلّ مجهول كمّ كبير من المجهولات؛ فلا تقنط.

صُنع المستقبل فيه من الخوارق:

الخوارق هي التي بها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذهنية ذات الرؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها وعلى الكيفية التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا.

ولهذا؛ فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقا (تجاوز للمألوف) وأظهر ما كان مجهولا أو مختفيا لحيّز المشاهدة والملاحظة فقد أضاف جديدا لميادين المعرفة الواسعة. فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن؛ فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق. وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجئات التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع لأنّها تأتي عن غير قاعدة، وعن غير معتاد ولا مألوف ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمّا الصّنع؛ فهو إظهار ما لم يكن ظاهرا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودا، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره إبداعا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ قد أتي به، وهو نتاج التفكير المفتوح حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه؛ أمّا الخارقة؛ فهي بلوغ ما لم يكن متوقّعا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي أنّها المِمكِنة، ولكنّها غير عامّة؛ فهي تحتاج إلى مقدرة عقلية تتجاوز بصاحبها ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه كونه لم يكن مستحيلا ولا

معجزا. والخارقة تقود أصحابها فكرا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربا.

ومن ثمّ؛ فالفكرة تحدٍّ تقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل بالرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة؛ فالهبوط على القمر، البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه، لكونه أصبح حقيقة لا تُخفى.

ومن ثمّ؛ فالصّعود إلى القمر يعدّ عملا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا استغراب، ولا مفاجأة، بل الاستغراب ألا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة الممكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق.

وهنا، أقول:

الجنّة بين أيديكم؛ فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها؛ فبلوغ الجنّة غير مستحيل، بل المستحيل أن لا تعملوا ارتقاء من أجل بلوغها.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا حتى نتمكّن من بلوغ الخوارق ارتقاء؟ ومن يرى غير ذلك؛ فكأنّه لم يُخلق بصيرا، وليس له من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاء؛ فمن يغفل عن ذلك؛ فكأنّه قد غفل عمّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات؛ فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النّاس، وبما غفلت عنه، ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط الممكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه:

فالإنسان مؤهّل للارتقاء عقلا وحسّا؛ فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلا راقيا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ومن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائلا، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائلا؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاء.

فالارتقاء حركة دؤوبة، يتحقّق عبر التّاريخ بالجهد الرّصين والعمل المتّصل، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد؛ فالارتقاء لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد،

يلد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكسب قوّة تدفعه إلى تحقيق ما هو أعظم، وهو كالبناء بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحا شامخا وكأنّه يريد أن يفتق الأرض بالسّماء ثانية؛ فهكذا هو الارتقاء تطلّعا يجسّد الطّموح، ويمكّن من بناء حضارات أهلها يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخا متكئا على الارتقاء علما وفكرا وقيما وفنّا وثّقافة وإعمارا وبناء.

ولأنّ التاريخ البشري مليء بالتّجارب النّاجعة، وكذلك الفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى؛ ففي تلك الأحقاب سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة؛ فهي بالرّغم من تنوّعها، ولكن، وكأنّها حضارة أمّة واحدة، إنّها تقدّر الخصوصيّة، وتُمكّن من الاندماج علما ومعرفة، وتقنية وإعمارا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤولياته وبكلّ شفافية.

ومع ذلك؛ فالإنسان دائما في حاجة للارتقاء؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنا، وأكثر نعيما، وأكثر عدلا، وأكثر رفاهية ورقيّا؛ فقيمة الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، تستوجب تقديرا عاليا، ورعاية صحية متقدّمة، وتعليما يخلّص من أيّ تأزمات تحدث،

ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّية دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد الآخرين بكلّ حرّية.

ولكن هذه لن تتحقّق ما لم يرتقِ الإنسان عن مثيرات الشّهوة، وإغواءات النّفس، ومغريات الحياة الدّنيا (السُفلية)، وتفضيلات الأنا على حساب الغير، وألا يتردّد، والخوف ضرورة من أجل مستقبل ناهض وسلامة وأمن يمكّنا من بلوغ الخوارق تحدٍ للحاضر بما هو أكثر جودة.

ولذلك؛ فالاختلاف لن ينقطع بين النّاس بما أنّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، وبين من يراها لا تزيد عن كونها قيودا ينبغي أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود الاختلاف، فلا وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلّ الصّعاب.

ومن ثمّ؛ فالرّغبة في بعض الأحيان تتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانية القاتلة؛ فعلينا بتضافر الجهود والنّهوض سويّة حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّما ونهضة من بعدها نهوض مع أملٍ ناهض.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف؛ فينبغي بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من حيث هو)، من أجل الارتقاء سويّا إلى مستقبل مأمول؛ فالفرد وإن خُلق فردا؛ فهو لم يُخلق وحيدا، ولهذا، لا ينبغي أن يفكّر وحيدا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدا، بل ينبغي أن يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاء بغاية ما يجب.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي؛ فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة قراره بقوّة اتخاذه؛ فقوّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد، وما يترتّب عليه من ارتقاء مأمول، وما يحدثه من مفاجآت موجبة، ومن ثم؛ فاتخاذ القرار ارتقاء يُمكِّن من إحداث النقلة.

ولأن صُنع الخوارق لم يكن مستحيلا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍّ للعقل بملكاته العقلية؟ فالعقل دائما هو مَكمن الخوارق؛ فمن بلغ عقله عقلا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازا، ومن بقي في دائرة المتوقّع؛ فلا إمكانية لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن.

ولكن لكي تصنع الخوارق فهي في حاجة لمناخ مناسب حيث لا قيود على التفكير الإنساني ولا موانع ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريات العلمية، وأنّ المقرّرات

المدرسية والجامعية معدّة على قاعدة كلّ شيء ممكن ولا استغراب، ثمّ أنّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصّعاب. وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُقلة وإيجاد ما لم يكن متوقعا.

وعليه:

. بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

. لا تستسلم للمتوقّع فقط وتغفل عن غير المتوقّع الذي يخرجك من زمن المفاجئات.

. لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف؛ فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيّة.

. لا خارقة إلّا بمقدرة عقلية، فانتبه لنفسك ولما حولك ولما يجب حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

. الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه، فانتبه وأعلم أنَّ السّرحان مضيعة للوقت فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه ضياعا.

. اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليا، أي أنّ الخوارق تكتشف أوّلا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

. معرفة الخوارق تمكّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

. معرفة الخوارق تحدٍّ للصّعب وقهره.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليما.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلا.

. صُنع الخوارق لا يكون إلّا تجاوزا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

. صُنع الخوارق يظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهرا أو موجودا معرفيا.

. صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

. يعدّ استخراج الشيء من الشيء على غير مألوف خارقة عقلية.

ولهذا ينبغي أن يعوّد الإنسان نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرا حتى وإن كان نتاج وقته، وعليه بقبول الصّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم.

صُنع المستقبل معرفة:

المستقبل المعلوم لا يمكن التخطيط ولا وضع التصاميم له إلّا بتوافر معلومات مفيدة بها يتمكّن المخططون الاستراتيجيون من التطلّع إلى ما هو أفضل، فصنع المستقبل هو رسم حياة لعالم الغد القريب الذي سيتحقّق لا محالة في ضوء المعلومات المتوافرة في الزّمن الحاضر، وبدون معلومات ومعارف واسعة لا يمكن للمتطلّعين رؤية المستقبل الذي ينبغي أن يكون السباق عليه ومن أجله، ولذا إنَّ تطوّر المعلومات والتقنية المصاحبة لها توفّر مناخا جيّدا لاصطياد المعلومات المتوقّع الاستفادة منها في هذا الزّمن أو في الزّمن الآتي.

وهنا فالفرق كبير بين التخطيط للمستقبل وبين صناعة المستقبل، فالأولى تعني بالطّبيعة أن يُفكِّر الإنسان في مستقبل حياته ويُخطط لها، ولهذا يتعلّم ويعمل ويتزوّج ويصلّي ويصوم ويقوم بكلّ العبادات التي يُؤمنُ بها من أجل المستقبل القريب أو البعيد (في الحياة الدنيا أو في الحياة الآخرة).

أمَّا الثانية (صناعة المستقبل) فهذه مترتّبة على استقراء الحاضر لمشاكل الغد، والعمل على إيجاد حلول لها قبل أن يأتي المستقبل مكمن المشكلة، كمشكلة المياه، ومشكلة الطّاقة، ومشكلة الحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتجدّدة والمتنوّعة؛ فالعلم اليوم توصّل إلى معرفة كثير من الأمراض سواء أكانت وراثية أم مستحدثة، ولأجل حياة أفضل توصّل الاكتشاف العلمي إلى معرفة الخارطة الجينية للمورثات الإنسانية، ووصل إلى معرفة علم التناسخ، وهذه كلّها تساهم في صناعة حياة المستقبل الأفضل بتفادي كثير من الأمراض التي تصاحبنا في الزّمن الحاضر ولم يتمّ القضاء عليها بعد.

فمن خلال معرفة خارطة الجينات الوراثية للإنسان يمكن صناعة مستقبل أفضل لحياة الإنسان، وذلك بتخليصه من هموم المورثات الجينيّة السّالبة التي تكمن فيها الأمراض التي تُضعف جهاز المناعة. ولذا فالمعرفة تمدّ المتعلِّمين بمعطيات الإبداع والاكتشاف، وهي الزّاد الذي يولّد الثِّقة في عقول العلماء والحكماء كما يولّدها في عقول النَّاس على السّواء؛ فهي التي تمكِّن النَّاس من الاطلاع على كنوزها الظّاهرة والباطنة كما تمكّنهم من التبيّن ومن الصّحوة التي تأخذهم من مواطن الغفلة وعدم المبالاة، وتدفع بهم إلى ميادين البحث العلمي الذي به يتمكّنون من صناعة المستقبل المأمول.

وعليه: فإنَّ توسّع المعارف والإلمام بها يؤدّي إلى توسّع ملكات الذّاكرة لدى الإنسان، ويمكّن عقله من الاستنارة التي ترشده إلى الأخذ بما يجب، وترك ما لا يجب دون غفلة، ولذا فمن ألمَّ بالمعرفة وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وتدبّر أمره علما وفكرا مع توظيف الإمكانات المتاحة أحسن توظيف استطاع أن يصنع مستقبله السياسي والاقتصادي والعلمي والصّحي والبنائي ولإعماري سواء على المستوى الوطني أم على المستوى العالمي، وفي مقابل ذلك يتأخّر الأفراد والجماعات والمجتمعات إن لم يلّمّوا ما يستطيعون الإلمام به من بالمعارف الصانعة للمستقبل.

صُنع المستقبل إرادة:

هناك علاقة ترابط قويّة بين المعلومة والقدرة والإرادة، ولذلك إذا توافرت المعلومة ولم تتوافر الإرادة الحرّة تظلُّ المعلومة في مراكز حفظها بلا مستخدمين؛ فالإرادة هي الفعل المؤثّر في ملامسة المعلومة التي كلّما توافرت فتحت المجال أمام الملاحظين والمشاهدين والمحللين ليتمكنوا من الإبداع والتألق في ميادين المعرفة الواسعة، وعندما تتوافر الإرادة فبالضّرورة يختفي الإجبار الذي يجعل قيدا وطوقا على العقل البشري؛ فلا يمكّنه من التطلّع إلى معرفة المستقبل وصناعة ما يمكن أن يجعل الحياة فيه أكثر تيسيرا بعد التخلّص من كلّ معطيات الشدّ إلى

الورى وتجاوز المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي إلى أرقى ما يمكن أن يكون سياسة واقتصادا واجتماعا؛ فالإرادة هي التي تدفع الإنسان إلى أن يعمل ويتحمّل المسؤولية تجاه ما يقوم به من عمل، وتولّد لديه روح الاستمرارية بكلِّ حرّية تجاه العمل المستوجب إنجازه، ولذا فإنَّ توافر الإرادة يعني فكّ القيد أو كسره، الذي من بعد فكّه أو كسره يتمكّن الإنسان من صناعة المستقبل المأمول لمواكبة تطوّر الحاجات المستوجبة تطوّرا لمشبعاتها مهما تنوّعت وتعدّدت.

أمّا أولئك الذين لم يُفك القيد عنهم لا يمكن أن يكونوا أناس فعّالون في صناعة المستقبل؛ فصناعة المستقبل تستوجب ممارسة الحرّية بكلّ إرادة وبكلّ شفافية؛ فالشّعوب المكبّلة الحرّية أنفسها تختنق وهي تنزف والآلام والأوجاع تحوطها من كلِّ جانبٍ من جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولأجل أن تتغيّر أحوالها؛ فهي في الزّمن الماضي كانت تحتاج لمنقذ (زعيم أو بطل) أمَّا اليوم فالأمر تغيّر.

صُنع المستقبل مقدرة:

إذا توفّرت معلومات وتوفّرت إرادة حرّة، ولم تتوافر قدرة على العمل والإنتاج والتعلّم فإنَّ ذلك لا يؤدّي إلى الإنجاز؛ فالقدرة هي المولّدة للطّاقة المِمَكِّنة من العمل أو أداء الفعل، وإلّا هل يمكن لأحدٍ

أن يصنع المستقبل وهو لا يمتلك القدرة حتَّى وإن توافرت لدية المعرفة والإرادة؟

عندما يكون الإنسان غير قادر على التفكير وغير قادر على العمل لا يمكن أن يكون منتجا ولا متفكّرا ولا متذكّرا ولا متدبّرا ولا متأمّلا ولا مبدعا متطلّعا لمستقبل أفضل، ولهذا فالقدرة هي الضّلع الثّالث لاكتمال المثلث المتساوي الأضلاع، المتكوّن من المعرفة والإرادة والقدرة.

فالقدرة قد تكون ذاتية وقد تتعلّق بالإمكانات؛ فمقدرة الإنسان نفسيا وعقليا وتعليميا ومادّيا وحضاريا تعدّ من معطيات امتلاك القوّة، ولذا فإن ضعفت إمكانيات امتلاك القوّة ضعفت القدرة التي كلّما كانت كان المستقبل المأمول بين يدي من يمتلك القدرة والمعرفة والإرادة.

ولذا فإنَّ القوّة تتمثّل في القدرة على اتّخاذ القرار وعلى تنفيذه ومتابعته عن معرفة وإرادة، وإلّا لن يكون للقوّة معني إذا لم تكن قادرة على أن تنفّذ ما تريد برغم الصّعاب التي قد تواجهها.

وعليه: فإنَّ الاختلاف في المعرفة، وفي الإرادة والقوّة، لابدّ أن يؤدّي إلى الصِّراع الذي تكون نتيجته طرفين، رابحا وخاسرا. أمَّا

التماثل بين الأفراد والجماعات في هذه الأبعاد الثلاثة لا يؤدّي إلّا إلى الوحدة والمنافسة من أجل صناعة المستقبل.

في أيّام الحرب الباردة كانت ثقافة الصِّراع هي السائدة، وفي هذه الأيّام التوجهات أصبحت في اتجاه الوفاق على كافّة المستويات، على مستوى الأفراد والجماعات وعلى مستوى الدّولة ومستوى العالم، ولكن سيكون مخطئا من يفكّر في انتهاء ثقافة الصِّدام والصّراع إلى الأبد؛ فالذي سيدوم هو تبادل المنافع بأساليب مُرضية، والعمل على تكاثف الجهود المنتجة، ومع ذلك عندما تشتدّ المنافسة على الحلبة يسقط أحد المنافسين أرضا، والذي يهمّ هنا أنَّ الصِّراع لن يكون هدفا ولا غاية، وبالتّالي إذا حدث الصِّراع سيكون القانون العام هو الحَكم بين الأطراف ويكون الحُكم مرضيا بإرادة، وذلك بأسباب المشاركة في صوغ القوانين المحليّة والقانون الدّولي العام، ممّا جعل الجميع قابلون باعتماد الحوار منطق مشترك للتّفاهم والتّواصل بين الأطراف ذات العلاقة، وهذا الأسلوب بلا شكّ ديمقراطي حيث لا مغالبة ولا مناصرة بغير حقّ كما كان سائدا أيّام الحرب الباردة؛ ففي أيام ثقافة الصِّراع والانحياز كان بعض السياسيين يبحث عن أنصار وأعوان ضدّ الآخر الذي هو الآخر يبحث عن مجال للامتداد العسكري الذي كان يعتقد بأنّه الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي، أمّا اليوم بدأ الاتجاه واضحا نحو

فكّ الاشتباك بين نقاط الصِّدام والتوترات السّاخنة، وقد بدأ هذا الدّور يتّضح بعد المسؤولية التي تحمَّلها جربتشوف رئيس الاتحاد السوفييتي سابقا عندما سمح للبلدان التي كانت تحت سيطرة الاستعمار السوفييتي بأن تتحرّر بإرادة، وترتّب عن التحرّر انسحاب قوّات الصِّراع (الجيوش السوفييتية) من أوروبا الشرقية وسقوط سور برلين الذي كان خطّ موت لمن يحاول تجاوزه أو حتَّى لمن لمسّه بيده بعفويّة.

ولأنَّ عصر تحرير الإرادات قد بدأ؛ فبدأ التنظير إلى العولمة يتطوّر من أجل أن تعيش الشّعوب الحرّية التي لن تتحقّق عن إرادة إلّا إذا أزيلت معوّقاتها التي منها:

. شطب كلمة الاستعمار من قائمة القاموس السياسي، وكذلك شطب الأساليب القامعة للحرّية من إدارة الأمور في الدّاخل والخارج.

. ضمان حقّ الأقليات وتمكينهم من ممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم وحمل مسؤولياتهم في الوطن الذي هم أحد مكوّناته الوطنية، ومع أنَّ هذه ميزة وطنيّة مرسّخة لأهمية التنوّع المعرفي والثقافي إلّا أنَّها قد تؤدّي إلى تجزئة الوطن لتكون الحدود فواصل بين الأقليّات، وهذه إن حدثت لابدّ وأن تؤدّي إلى صدامات.

. ترسيخ الدّولة المدنية والتداول السلمي على السلطة.

المستوى القيمي لصناعة المستقبل:

المستوى القيمي لصناعة المستقبل هو المستوى المنطقي الذي فيه الحقّ يقال، والفعل يُفعل، والعمل يؤدّى عن إرادة، إنَّه مستوى الشخصية المنطقية التي تؤسّس على إقرار مبادئ مشتركة، لا على انحيازيات عاطفية، إنَّه المستوي القيمي المسالم لمن يسالم، والشخصية التي تسلك وفقا لهذا المنطق هي الشخصية المحبّة للتّعايش السلمي وذات العلائق الوديّة مع المجتمع الإنساني؛ فلم تكن رؤاها مقتصرة على المستوى القيمي الذاتي، بل تتعداه إلى التطلّع إلى الآخر وما يمكن أن يؤخذ منه أو يتبادل معه ثقافة وعلما ومعرفة دون أن يكون شيئا منه على حساب الهويّة الاجتماعية أو الوطنية؛ فإن كان هناك شيء من هذا القبيل فإنّ الرّفض هو السبيل إلى التوقّف عند الحدود.

وعلاقات الإنسان وفقا لهذا المستوى القيمي هي علاقات حوارية أخذ وعطاء، دون تعارض مع ما يقرّه القانون الدّولي، مع المحافظة على حرّيّة وسيادة الوطن الذي يجب مقاتلة أعدائه إن اعتدوا على ترابه وحرّية مواطنيه، ولذلك لا رفض إلّا لما ترفضه القيم الاجتماعية والإنسانية معا وفقا لكلّ خصوصيّة، ولا قبول لمن يرى فرض رأيه ولا ينظر إلى أراء الآخرين.

شخصية الإنسان المنطقي لا تقبل الحرمان من ممارسة الحقوق، أو الحرمان من أداء الواجبات، أو الحرمان من حمْل المسؤوليّات، ومن يقدم على ذلك كرها ستلاقيه المواجهة مع وافر إظهار القوّة من أجل المستقبل المأمول لجميع النَّاس، مع تمام الاحترام والتقدير لحرّيات الآخرين وتطلّعاتهم التي رسموها لمستقبلهم الأجود والأنفع، بل كلّما كانت إمكانية الاستفادة منهم كلّما فُتحت آفاق التعامل معهم بما يفيد الجميع دون الأخذ بالأحكام السّابقة التي يجوز أنَّها قد تأثّرت برؤى خاصّة.

في هذا المستوى القيمي تعترف شخصية الإنسان بحقوق الآخرين في ممارسة السّلطة؛ فلا تقرّ ولا تقبل مغالبة طرفٍ لطرفٍ، بل تعترف بأنَّ لكلِّ مجتمع أو أمّة هويّة لها من الخصوصيات ما يميّزها عمَّا تمتاز به خصوصيّات المتجمعات والأمم الأخرى، ولكن من المفيد أن تتلاقح الآراء والمعارف والثّقافات التي تفيد تقدّم الإنسان وتسهم في رقيّه الحضاري؛ فالمجتمع مهما امتلك من قوّة فهو لن يبلغ الجبال طولا إن لم يقدّر الآخرين ويعترف بخصوصياتهم التي بها يتميّزون مع وافر التقدير والاعتبار.

ولأنَّ صناعة المستقبل حقّ، لذا ينبغي أن تكون طموحات المواطنين المستقبليّة مؤسّسة على قواعد المنطق وحججه وبراهينه التي لها من المبرّرات ما يجعلها مقدّمات تؤدّي إلى نتائج مقبولة ومرضية.

وعليه: المستوى المنطقي هو الذي تصل إليه الشّخصية بعد تحليل يُبنى على معطيات لا على افتراضات، والتحليل المنطقي وفقا للمعطيات قد تكون نتائجه صحيحة وقد تكون خاطئة؛ فإذا كانت المعطيات صادقة فإنَّ التحليل المنطقي بالضّرورة سيكون صادقا، وإذا كانت خاطئة فليس له غير النتائج الخاطئة، وهذا الذي يجعل الشخصية في حالة ميل من المستوى الذاتي إلى المستوى الموضوعي، أي أنَّها ترفض أن تكون منغلقة على حدود الذّات الاجتماعية؛ فتتطلّع إلى الآخر لتأخذ منه ما يفيد ولا تقبل بأن تأخذ شيئا يكون على حساب مكوّنات الهويّة الوطنية للأمّة.

فالمستوى القيمي للشخصية المنطقية المتطلّعة للمستقبل المأمول لا ترفض كلّ شيء هكذا، بل لا تقبل ولا ترفض إلّا ما يجب أن يُقبل أو يُرفض، ولكن مع ذلك فإنَّ هذه الشخصية لم تتخلّص بالتّمام من تلك المؤثّرات الاجتماعية والثّقافية التي جعلت لها ذاكرة مع التَّاريخ؛ فإنْ تخلّصت بالتّمام أصبحت على ذلك المستوى الموضوعي الذي تتساوى عنده المقاييس بين القريب والبعيد؛ فالمستوى الموضوعي لا يرفض البعيد من أجل القريب، بل يرفض ما يجب أن يرفض بحقّ حتَّى ولو كان قريبا، ويقبل من يجب أن يُقبل حتَّى وإن كان بعيدا غريبا، ولهذا من بلغ هذا المستوى يوُصِفَ بالموضوعية،

ومن لم يبلغه يمكن أن يكون من الذين يميلون إليها عندما يكونون على المستوى المنطقي الذي به يُصنع المستقبل المأمول.

ولذا فممارسة السياسة برؤية هذا المستوى المنطقي تعدّ حقّ خاصّ وعام، خاصّ على مستوى الخصوصية الفردية، وعام على مستوى الشّعب بكامله، ومن هنا فمن يحرم من هذا الحقّ على أيٍّ مستوى من المستويات الاجتماعية والإنسانية فليس له بدٌّ إلّا الرّفض، وإن لم يُجدي الرّفض؛ يتمّ قبول المواجهة نضالا وتمرّدا وثورة حتَّى تُستردّ الحقوق وتقدّر الكرامة ويتمّ نيل الاعتبار ويقف كلّا عند حدوده ولا داعي للمظالم والاعتداءات؛ فالمستقبل للجميع بدون آلام وبدون أوجاع سياسية واجتماعية واقتصادية ومعرفية وثقافية.

إنَّ مستوى الشخصيّة المنطقية، مستوى تطلّعي، ومن هنا تصبح الشخصية تميل إلى المشاركة في الأحداث الموجبة، وتبتعد عن المبررات السّالبة، وتقبل بأن ينوب عنها من تعتقد أنَّه قادر على تمثيلها ولا يكون على حسابها؛ فلا تقبل السّيطرة وتأمل عدم التدخّل في شؤونها الخاصّة، وعلاقتها بالحرّية علاقة تعبير؛ فكلُّ فرد من حقّه أن يعبِّر عن إرادته بحرّية، ولا يحقّ لأحد أن يُلجمه أو يصادر حقّه في التعبير.

وعليه: فإنَّ الرّفض منطقيّا يجب أن يكون لما يجب أن يُرفض في مقابل قبول ما يجب أن يُقبل دون تعصّب وعدم اعتراف بالآخرين وحقوقهم وواجباتهم ومسؤوليّاتهم؛ فالإنسان المنطقي يقبل الاندماج والذوبان في الآخرين دون أن يكون آخرا على حساب ذوبانه واندماجه، وهذا الأمر يدلّ على أنَّ الإنسان في حالة تطلّع لِما ينبغي أن يكون من أجل مستقبلٍ أنفع، وبالمنطق ينبغي على الإنسان أن يفكّر ويسعى لأن يكون على مستوى قيمي أفضل، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه من الاختيار بإرادة كما تمكّنه من نيل التقدير والاعتبار والاحترام، وهذه الظروف تمكّنه أيضا من الاقتران بذاته فلا ينفصل عنها سواء في حالة التمركز التّام أو في حالة التطلّع لِما ينبغي.

فالمستوى القيمي المنطقي هو مستوى حوار الحجّة بالحجّة، التي تمكّن الإنسان من التمييز بين الحقِّ والباطل (رفض أو قبول)؛ فالذي يميّز يَعرِف ويُقدِّر الأشياء وفقا لمعطياتها ومبرّراتها المعرفية، والذي لا يميّز بين هذا وذاك فلن يعرف، ذلك لأنَّ الشخصية التي تمتلك ملكة التمييز لا تقتصر في تمييزها على الأدلّة والشّواهد المحسوسة فقط، بل تتعدّاها إلى معرفة كشف العلائق المجرّدة التي تجعلها تدرك ما يجب إدراكه حسّا وتجريدا، وبهذا تصبح على التوازن المحقّق للتكيّف والتوافق.

فمستوى الشخصية المنطقيّة هو مستوى الشخصية المدركة لِما يجري من حولها، المتطلعة لِما هو أفضل، المعتمدة على قدراتها العقلية في استيعاب المواضيع التي تمكّنها من التحليل وبلوغ النتائج المنطقية، إنَّها الشخصيّة التي تلتجئ إلى التمييز بين المواضيع بمعطيات عقلية أكثر من التجائها إلى التفسير المادّي المباشر.

وعليه: فإنَّ التطلّع للمستقبل الخيِّر قيمة مقدّرة منطقيّا كونه استشعار حريّة مأمول بلوغها بعد أن أصبح أمرها في دائرة الممكن المتوقّع، ومن يستشعر الحرّية يتحفّز إليها إرادة حرّة مع القبول بدفع الثَّمن من أجلها، ولهذا فإنَّ القبول أو الرّفض أو المواجهة أو الثّورة في هذا المستوى القيمي لا يكون إلّا من أجل بلوغ حلّا منطقيّا، ولأنَّه حلٌّ؛ فهو لا يكون إلّا حجّة صانعة للمستقبل، ولأنَّه حُجَّة؛ فإنَّ الأخذ به يحقّق لأصحابه الرّضا الذي به ينالون الاعتراف والتقدير من قبل الذين تربطهم بهم علاقات قربى أو علاقات عمل أو علاقات دين أو حجّة ومنطق دون انحياز أو تعصّب، وذلك لاقتناعهم بما هو منطقي كونه الصّانع للمستقبل المأمول من النَّاس.

إذن التطلّع تسابق مع الزّمن حيث لا توقّف عند حدود الحاضر، بل هو امتداد إلى المستقبل المأمول المتجدّد تفكّرا وتدبُّرا وتأمُّلا من أجل الحياة الأفضل سياسيّا واقتصاديّا وعلميّا ومعرفيّا وثقافيّا وحضاريّا، ولكن لكلّ شيء من هذا ثمن؛ فمن يقبل بدفعه

يستطيع بلوغ المأمول أو على الأقل يبلغه أبنائه من بعده بعد أن عبَّد لهم السبيل المؤدّي إلى المستقبل الأفضل.

ولهذا فالتطلُّع قيمة حميدة من أجل بلوغ الأمل المتطوّر، وهذه القيمة الحميدة تمنح المتّصف بها فُسحة الاطلاع على الواقع واستشراف المستقبل في عملية موازنة من أجل الإصلاح وإيجاد الحلول المناسبة لقضايا الفرد والجماعة والمجتمع، وفي كلّ المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن هنا تكون قيمة التطلّع حاملة لمعطية إثبات الأنا والآخر دون أن يكون أمل أحدهم على حِساب أمل الغير.

وأوّل وسائل التطلّع وأبسطها على جلالتها هي القراءة، وتُعدّ قراءة التَّاريخ والتعرَّف على ثقافات وحضارات الشّعوب ذات فائدة للمزيد المعرفي، ولهذا فإنَّ المتطلّعين من أجل أن يكون العدل والحقّ سائدا لحياة أفضل لا يكابرون في الاتصال مع الآخر من أجل الاستفادة المشتركة من المنافع المأمولة، ولا داعٍ للمكابرة ولا داعٍ للتردّد الذي يجعل البعض على حالة من السّكون، ومن يقرأ التَّاريخ يعتبر ويعرف أن الشّعوب والحضارات دائما في حالة اتِّصال وتواصل من أجل إحداث النُقلة للمستقبل الذي دائما هو متجدّد.

ولا نغفل عن أهميّة المعرفة التي تُعطي للتطلُّع قيمة؛ فبها تشبع الحاجات عن دراية وموضوعيه؛ فالمعرفة هي المعلومة والحجّة والفكرة والثقافة بحالها التي تمكّن من معرفة الآخرين دون لبس ولا غموض، وتمكّن من معرفة ما وصلوا إليه من علوم ومعارف وتجارب يمكن الاستفادة منها في تغيير الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعيّة.

ولهذا فإنَّ المعرفة حاجة ضرورية للإنسان تستوجب إشباعا، وبما أنّ هناك آخر؛ فالطبيعة البشرية والإنسانية تستوجب التعرُّف عليه ليتحقّق لها الإشباع، ذلك لأنَّ الانغلاق والانكفاء على مستوى الأنا فقط هو من الأفعال والسّلوكيات غير الطبيعية.

لا ريب أنَّ التطلّع إلى ما هو أحسن وأفضل شيء ليس خاطئا من حيث المبدأ، لكن يجب على المتطلّع أن يدرك أنّ ذلك لا يخلو في كثير من الأحيان من المثالية والمبالغة، ولذا فإنّ الإصرار على الحصول على الأفضل دائما يجب أن يصحبه اعتقاد بأنّه لن يحدث الأفضل إلّا بخطط واستراتيجيات تتجاوز المتوقّع إلى ذلك غير المتوقّع.

فالتطلُّع قيمة حميدة كونه مستوى من المستويات القيميّة التي يجب أن تأملها شخصيّة المواطن ليكون للوطن آمال ومستقبل أفضل؛ فالتطلّع للمستقبل الأفضل والأجود والأنفع هو مكمن الآمال

والطموحات التي فيها تتحسّن الأحوال وتحدث النُقلة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى.

وعليه: فإن كانت لنا توقّعات في دائرة الممكن بأنَّ أحدا سيقع في تأزُّمات مستقبلية؛ فيجب علينا إن كنَّا خائفين عليه أن نعظه في الزّمن الآن وأن نرشده إلى ما يجب وإلّا سيكون واقعا فيها لا محالة، ويومها ستكون التأزُّمات قد حلّت ولن ينفع النّدم، وقد لا يكون بعدها إصلاح ولا من بعده بلوغ حلّ.

وهنا فلولا الخوف في الزّمن الآن ما فكّر من فكّر في مستقبله وتطلّع إلى ما هو أفضل من أجل أن يحقّق لنفسه الأمن والسكينة، ولذا فالشخصيّة المتطلّعة هي على مرحلة من الوعي الفكري والثقافي، فيها تمتدّ الذات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الأخر الذي له من الخصوصيات التي تميّزه عن غيره، وفقا لقدراته واستعداداته ومواهبه وإمكانياته وعلومه وثقافته وحضارته، ممّا يجعل الذّات في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحقّق لها الفائدة والمنافع.

وهنا فالإنسان المتطلّع للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي أنّه في حالة النُقلة، من التمركز على الذّات إلى حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه

ومعتقداته وآماله المرضية للجميع، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على تراثه القيمي، بل هو في حالة امتداد موجب مع الثّقافات والأفكار الإنسانية الأخرى، وفي ذات الوقت لا يُفرِّط في خصوصيّته الذاتية؛ فبعد أن كانت المغالبة في المستوى الذاتي للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، بدأت المشاعر والأحاسيس الذوقية تتهذّب تدبّرا وتطلّعا تجاه ما يُفيد عند الآخرين دون إقصاء لأحدٍ منهم.

إذن الشخصيّة التطلّعيّة شخصية توافقيّة، تستوعب قيم وفضائل (الذاتية) وتنفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة، وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ والعدل والواجب والمسؤولية على مستوى الذات ومستوى الآخر، ولذلك لم تكن منغلقة أو متعصّبة ولا متفاعلة إلّا مع ما هو منطقي؛ فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتّمام، يُفسح مجال جديد للعقل والنّفس بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النَّفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويّة والخصوصية، ويمتدّ من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه. وهذا لا يعني أنَّ كلّ ميل هو موجب؛ فعندما تميل الشخصية من حالة التمركز على الذّات إلى حالة التخلّي عن بعض من مكوّناتها

القيمية تصبح الشخصية على حالة من الانسحابية؛ فتوصف في هذه الحالة بالشخصية الانسحابية التي تتخلّى عمّا يجب الأخذ به، ومن هنا لن تنال التقدير من أحدٍ.

وعليه: فالتطلُّعية مرحلة من الوعي الذي يُمكّن الذات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتَّى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يطمئن ويجب.

ولأنَّ التطلّعية هي حالة وعي بالمحيط المعرفي والثقافي والحضاري، فهي تُعدّ مرحلة نضج، به تتمكّن الشخصيّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النَّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، إلّا أنَّ الواقع يُثبت غير ذلك، حيث نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الأخر في حالة إيثار حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل، ولذا فالشخصيّة المؤثِرة، هي الشخصية المنطقية التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابا، وهنا فالشخصية المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها

على الظرف الآني، بل تمتدّ إلى ما هو مستقبلي؛ فتميل إلى المغالبة، مغالبة الفضائل والقيم الحميدة على النّواقص والمظالم.

صُنع المستقبل بلا مظالم:

المستقبل السّعيد كلّ النّاس تأمله، ولكن الفرق أنّ البعض يعمل على صُنعه والبعض ينتظره زمنا، فالذي يعمل على صُنعه يأتي إليه وهو قد صنعه فكّرا وتدبّرا؛ فأنتج فوجد، أمّا أولئك المنتظرون سيظل الزّمن أمامهم مستقبل وهم يتمنون، ولهذا؛ فالفرق كبير بين من يأمل ويعمل على بلوغ مأموله، وبين من يتمنى فيبقى في أمانيه ساكنا.

النّاس كلّ النّاس هم بين مأمولٍ ومتمنٍ، ولهذا فهم مختلفون وسيظلون كذلك؛ فالذين يأملون يعملون ويسعون إلى معرفة وإنجاز المزيد، والذين يتمنون سيظلون يتمنون، ولهذا يُصنع المستقبل بلا مظالم، لأنّ صُنعه بيد النّاس فلِمَ لا يعملون؟

صُنع المستقبل يؤسّس وطن فيه المواطنون يسودون دون سيادة مظالم، الرّجل والمرأة والصّغير والكبير هم رأس مال الوطن، ممّا يجعل ثروة الوطن ملك للجميع، والتعليم حقّ للجميع، والصّحة حقّ للجميع، والخدمات المتميّزة حقّ للجميع، والأمن حقّ للجميع، وأداء الواجبات حقّ على الجميع، وحمل المسؤوليّة عبء يحمله الجميع، وكلّ

وفق قدراته واستعداداته ومهاراته وتخصّصه وتأهيله وصلاحيّاته واختصاصاته، مع تقديم أفضل رعاية للمعاقين والعجزة والمرضى وإعالة ورعاية من لا عائل لهم ولا راعٍ.

الحكومة والمجتمع المدني في حالة شراكة؛ فكلّ واحد ييسّر للآخر أعماله وكلّ واحد يقوم بمهمّة المراقبة على الآخر، ممّا يجعل ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي ماثلة بين يدي النَّاس يمارسونها بكلّ شفافية، مع وافر الرّقابة المتبادلة بين مكوّنات المجتمع المدني والحكومة التي يتمّ اختيارها خبرة ودراية ومهنة وتخصّصا ومكانة اجتماعية وإنسانية رائدة، وكلّ ذلك لا يتمّ إلّا تحت مظلّة الدّستور وما يتفرّع منه من قوانين ونظم مشرّعة. ولا يتمّ الإغفال عن أهميّة المجال الاجتماعي العام الذي تتشكّل فيه الجماعات الخيريّة والتطوّعيّة والخدميّة والإصلاحيّة والاتحادات والرّوابط والنّقابات العامّة.

ونظرا لأهمية المجال الاجتماعي العام في ممارسة الدّيمقراطية وتحقيق الأمن فإنّه يستطيع أن يقوم بما لا ينبغي أن تقوم به الدّولة؛ فالدّولة لا تستطيع أن تتحوّل إلى المجتمع المدني "وإذا وضعت الدّولة (الحكومة) نفسها كلّ مكان؛ فليس لها مكان"[11].

[11] المصدر السابق. ص 130.

ومن ثمّ يصبح دور أجهزة الأمن لم يعدّ ذلك الدّور التشكيكي في المواطنين، بل دورها يصبح كيف تغرس الثّقة في المواطنين، وكذلك لم يكن دورها مطاردة المنحرفين لمعاقبتهم، بل دورها جمعهم من أجل الإصلاح ثمّ إحداث النُقلة في نفوسهم من أجل مستقبلٍ أفضل، وهكذا سيكون دور رجال البوليس احترام المواطنين وتقدير ظروفهم وتفهُّم أحوالهم، أي العمل بشكل وثيق مع المواطنين لتحسين مستويات الجماعة المحلية والسّلوك المدني واستخدام الثّقافة والاقتناع والتشاور بدلا من توجيه الاتّهامات بغير حقّ، ولذلك تسنّ القوانين التي ترشد إلى ما يجب وتنهى وتحذِّر وتحرّم ما لا يجب، ثم تعاقب دون مظالم، ومن هنا تصبح تقويّة القانون ضرورة من أجل ممارسة الحرّية وبكلّ شفافية. وفي مقابل ذلك من أهم الأدوار التي يجب أن تمارس دون غفلة هو دور الأسرة في رعاية أبنائها؛ فتشرُّب القيم الحميدة والفضائل الخيّرة من مهام الأسرة أوّلا، وثانيا التعليم الذي له من الأدوار ما يجعله المنقذ والمرشد؛ فلم تعدّ أهداف التعليم مقتصرة على تعليم الأجيال كيفية المحافظة على الأعراف والتقاليد الحميدة، بل أنَّها تتجاوز ذلك إلى تعليم الأجيال كيفية دخولهم مجالات الاقتصاد الحديث، وكيف يتمكّنون من التغيير؟ وكيف يفكّرون؟ وفيما يجب أن يفكِّروا؟ أنَّه التعليم المؤسّس على المعرفة الواسعة التي من معطياتها (فكّر وأنت تفكّر).

فالدّولة الديمقراطية هي دولة صناعة المستقبل الذي فيه الرّفاهية قصدا، ولهذا فالدّول التي ترتفع فيها ظاهرة الجريمة والانحرافات السّلوكية بمختلف أنواعها ودرجاتها لا يمكن أن تعيش مجتمعاتها الرّفاهية حتَّى إن ادّعت الدّولة التي ينضوون تحتها بأنّها دولة الرّفاهية. فدولة الرّفاهية هي الدّولة التي يمتلك مواطنوها أمر السيادة الوطنية، ويمارسون حقوقهم بإرادة، ويؤدّون واجباتهم بإرادة، ويتحمّلون مسؤولياتهم بإرادة، ومع ذلك لا يمكن أن يعيش الأفراد حالة الرّفاهية إلّا إذا كانت حاجاتهم مشبعة، ونفوسهم آمنة مطمئنّة؛ فالرّفاهية كما قال عنها أنطوني جيدنز هي: "في جوهرها ليست مفهوما اقتصاديا ولكنَّها مفهوما نفسيّا يهتم بالحياة الأفضل"12. وبما أنّها ذات مفهوم نفسي فلا يمكن أن يعيشها المرضى والشحاتون الذين يملؤون شوارع المدن في كثير من البلدان، ولا يمكن أن يعيشها التُّعساء الذين تسطير عليهم هموم ارتفاع مستوى المعيشة في مقابل فقدانهم لما يشبع الحاجة.

ولأجل التغيير من حالة التّعاسة إلى حالة الرّفاهية ينبغي ألّا يكون التركيز على تقديم المساعدات؛ فالاستمرار في تقديمها يجعل الاتكال والاستمرار في طلبها مستمرّا.

---

[12] أنطوني جيدنز، الطريق الثالث " ترجمة مالك أبو شهيوة، ومحمود خلف". طرابلس: دار الرواد، 1999م ص 165.

والرَّفاهية نسبية، فما يمكن أن يحقّق الرّفاهية اليوم قد لا يكون عنصرا أساسيّا في تحقيقها مستقبلا؛ فالحاجات متطوّرة ومتنوّعة ورغبات البشر كذلك متنوّعة ومتطوّرة، وهذه بدورها ذات علاقة قويّة بمدى تحقيقها لمجتمع الرّفاهية من عدمه، ولهذا ستظل الرّفاهية أمل بالنسبة للنَّاس كما هم يأملون بلوغ السّعادة13.

استنهاض الخوف صُنع مستقبل:

يكمن الخوف في النفس الإنسانية، لكن هذا الكمون لا يكون مستديما أو حالة تكون أشبه بالمكوث الذي لا يرى بزوغه أبدا، ذلك أنَّ المثيرات الخارجية تسعى دائما إلى يقظته في تشكيلات متعدّدة ومتنوّعة، فيكون ظهور الخوف ضمن حالة متفاوتة بحسب المثير الذي يستفّزه، هذا الأمر يكون تحقّقه ضمن آنيّة مفترضة يكون حصولها بعد امتدادات واضحة المعالم، يُرى فيها كلّ التمركزات المطلوبة، والتي يكون من بعدها التوجّه العلاجي قائم من خلال مثول الخوف وراء كلّ ما يحصل.

إنَّ هذا الانفتاح في المعالجة قائم على آنيّة تكون محدّدة الحدود واضحة التفاصيل، ومن الممكن الوقوف على كلِّ ما من شأنه أن يكون الحلّ فيه ظاهرا سواء أكان مادّيا أم معنويا؛ فتكون المعالجة

[13] عقيل حسين عقيل، ربيع الناس من الاصلاح إلى الحل، القاهرة، 2011م، ص 196 - 220.

سريعة، لكنّها لا تخلو من أخطاء متفاوتة قد تكون قليلة في بعض الأحيان، إلّا أنَّها قد تتّسع في أحيانا أخرى لتصل الأمور في بعضها إلى وجود خروقات غير منطقية، تجعل الكثير من الحلول في المستقبل في مهبّ الريح، هذه الآنيّة ساهمت بشكل أو بآخر في استنهاض الخوف من خلال رسم حجم المخاطر وتبيان ما فيها من تفصيلات تعينه على إيجاد حلول يكون من خلالها الوصول إلى نقاط التقاء فعليّة تكسب الزمن أولا، وتخرج الوضع الحرج أو الخطر إلى وضع آخر أفضل ثانيا، إلّا أنَّ الوضع الأفضل يكون وفق مقاييس غير ثابتة، إذ تكون هذه المقاييس تابعة إلى مجمل العوامل التي التفّت حول الخوف، ومنحته هذا الاستنهاض الذي كان سببا فاعلا في الوصول إلى النتيجة الحالية التي هي في كلّ الأحوال منقادة للبداية الأولى التي كانت قاعدة الانطلاق.

يسير الخوف باتجاهات واضحة المعالم حين يكون الاستنهاض مبنيا على أسس علمية، تتّسع مراحلها نحو إيجاد توافقات بين الحدود المفتوحة التي لا يُرى فيها في كثير من الأحيان إلاّ ابتعادا عن المركز المفترض، هذا المركز يكون من خلاله طرح ما يمكن طرحه وإعداد ما يمكن إعداده، ولهذا لا تكون البداية مفتعلة بأيِّ حال من الأحوال، لأنَّ الافتعال لا يولِّد في المستقبل إلّا أخطاء جسيمة، ونحن إذ نرى في البداية أنّها يجب أن تكون مبنية على اتساعات علمية مختلفة تلملم

المطروح وتدخله في سياقات حقيقية وافتراضية، فتمنحه بذلك مديات متباينة يكون على أساسها الوصول إلى الاتكاءات التي يكون من ورائها الوقوف على الحلّ، والذي يكون من ورائه تفادي المخاطر التي يمكن أن تحدق بالإنسان.

إن السير خلف طروحات ثابتة يجعل من استنهاض الخوف أداة ناقصة الفاعلية، ذلك أن التغيُّر المستمر في الحياة يخلق حالة من التصحيح المستمر لكلِّ ثوابت الحياة، وهذا بطبيعة الحلّ يوجد ارتماءات متعدِّدة تحاول أن تجد لها ما يكفل بقاءها ضمن دائرة الاستنهاض؛ فتكون الأمور ضمن هذه النسقية باطلة وغير قابلة لردع المخاطر؛ فتقلبات الحياة جعلت الكثير من الأمور تكون ضمن انزواءات لم يتوقّع لها أن تكون فيها؛ فكانت وجودا غير مرغوب فيه في كثير من المواقف، وهنا تنبري الأمور ضمن استمدادية جديدة؛ فتحاول أن تجد ما يمنحها صيرورة البقاء ضمن دوائر جديدة تسهم من خلالها في إيجاد حلول واضحة، وإن كانت استعراضية، إلّا أنَّها ملبية لبعض الارهاصات الحاصلة التي تبدو غير خطرة.

وتتحدّد الحياة من خلال تقسيم يطرح كلّ ما من شأنه أن يكون سببا في استنهاض الخوف، ذلك أنَّ المخاطر أصبحت ضمن مدارك الإنسان المختلفة؛ فيلتفَّ حولها استشعارات متباينة تكون حافلة بأسباب البحث عن كلِّ النقاط التي يكون من ورائها الوقوف

على الصورة الافتراضية التي ستكون في المستقبل، وهذا يشمل ما يسمى بصناعة المستقبل؛ فالمستقبل في حقيقته غير متحقّق، إلّا أنّه يمكن أن يتحقّق من خلال رسمه بتقنية خاضعة لكلِّ ما يساهم في تحقّقه، وفي هذا المقام يتراءى لنا مصطلح المستحيل الذي يمكن أن يكون باعثا لتوقفات كبيرة يكون من بعدها تحقّق المخاطر، ومن ثمَّ الانزواء عن إيجاد حلول تكون ناجعة في كلّ المقاييس، ولكي نبدِّد هذا المصطلح ولو آنيّا علينا أن نلجأ إلى المتوقّع وغير المتوقّع كي نسلب منهما الحلول التي يمكن أن تكون باعثة على إيجاد أرضية صلبة وواضحة المعالم، ويكون من ورائها خلق استنهاض للخوف يكون من ورائه صناعة المستقبل بالكيفية المفترضة والمرادة.

المتوقّع يسير في دائرة المتحقّق الذي يكون وجوده وصداه حاضرا في المنظور وغيره، وهذا بطبيعته يخلق حالة واضحة من وجود ثوابت يكون حضورها ممثّلا لجانب مهم من جوانب صناعة المستقبل؛ فيكون هذا الحضور استمرارا لهذه الصناعة حتى يمكن القول أنَّها تدخل حقل البديهيات التي يكون وجودها لا بديل عنه.

أمَّا غير المتوقّع؛ فيكون خاضعا لنظرة استشرافيه باحثة عن كلّ ما من شأنه أن يكون مؤسّسا بطريقة أو بأخرى لصناعة مستقبل مطلوب وفي المواصفات الافتراضية التي وضعت عند بداية الاستنهاض، ولعلَّ البداية قد تكون مفتعلة في بعض جوانبها نتيجة

التحسُّب المبالغ فيه إلّا أنَّه بمرور الزمن قد يكون هذا الافتعال ممثّلا لكثير من الوقائع التي يمكن أن يكون لها شأنٌ آخر، فلا يكون هناك استبعاد لأيّ استنهاض وإن كان بعيدا عن السمات المتواجدة ضمن الدائرة الظنيّة الحاضرة في كلِّ حركة متّجهة نحو الاستنهاض.

عليه يكون استنهاض الخوف باعثا لإيجاد قواعد جديدة تكون ملبِّية لما يمكن أن يكون بديلا عن الماضي، ودون الركون إلى كلِّ ما من شأنه أن يلغي التوجّه نحو المستقبل بافتراضات بالية وعقيمة لم تنتج إلّا ما يُعطّل الحياة ويجعلها تمرّ بأزمات متوالية.

إنَّ الحياة في كثير من تفاصيلها هي مبنيّة على استنهاض الخوف لصناعة مستقبل يكمن فيه الأمان المطلوب في كلِّ جوانبه؛ فمن ذلك نجد أنَّ المقررات التعليمية إن لم تكن مصاغة بمنهجية استنهاض الخوف لدى المعلمين والمتعلمين؛ فإنَّها ستفشل في تحقيق الغايات المرجوة لصناعة المستقبل، فإعداد كمّ من المعلومات الملبّية لاستنهاض الخوف، يكون موافقا لما يمكن أن يكون منجزا مستقبليا، فالمقررات إنْ لم يراع في صياغتها استنهاض الخوف في أنفس المتعلمين لا يمكن لهؤلاء المتعلمين صناعة المستقبل المأمول منهم، حتى يكونوا من المواكبين لحركات التغيّر والتقدّم التي هي دائما في حالة تطوّر من عصر إلى عصر.

ولذا فإنَّ الخوف من أعظم النّعم التي تحفِّز الإنسان وتدفعه إلى كلّ ما من شأنه أن يجنِّبه المخاطر والآلام والمظالم، ويجنِّبه الحاجة والعوز، ويُمكِّنه من بلوغ مشبعاتها والإقدام على تطورها وتطويرها، حتى المناهج التي رأينا فيها أن تكون ملبِّية لاستنهاض الخوف، هي متغيِّرة ومتبدِّلة، لأنَّ الخوف أيضا متغيّر ومتبدّل، وهنا يكون الناس ضمن اتجاهين:

الاتجاه الأول: يكون منهم متتبِّعا لكلّ ما يسهم في استنهاض الخوف من أجل صناعة المستقبل؛ فتكون حركتهم واعية وتسير في مدارات تلبّي ما يطمحون في الوصول إليه؛ فتكون أدواتهم خاضعة لكلّ ما يصل بهم إلى التحقُّق المراد، حتى ردود أفعالهم تكون منتمية إلى أرضية واقعية التشكيل، فتمنحهم بعد ذلك حلولا صحيحة كما يريدونها في كثير من الأحيان.

الاتجاه الثاني: المتفرجون الذي يراقبون كلّ ما يجري، فلا يحركون ساكنا وسيظلون يتفرجون ما لم يعرفوا عن يقين أنّ استنهاض الخوف ضرورة للفرد والجماعة والمجتمع، هذه المعرفة لا تأتي من فراغ، بل يكون السعي من أجل معرفتها هو مطلب مهم يمنحهم فيما بعد هذا المطلب نتائج غير متوقعة على كافة الأصعدة التي كان ينظر إليها أنَّها غير مهمة.

إذن من يستنهض الخوف في نفسه يتقدّم ويتطوّر حتى يصل به الأمر إلى أن يغزو الفضاء وهو يصنع المستقبل، وفي المستقبل أيضا سيغزو ما لم نعرفه الآن في دائرة غير المتوقّع، ولهذا من يعلم بذلك لن يُفاجأ، أمَّا الذين لا يعلمون فبالضرورة ستكون المفاجأة في أنفسهم عظيمة ويا ليتها تكون موجودة.

ويمكن التوقُّف عند مرتكزات مهمة في الحياة يكون استنهاض الخوف فيها السّبيل إلى صناعة المستقبل المطلوب منها:

1 – الإعلام

يمثل الإعلام عصب الحياة الآن في توصيل المعلومة وبمختلف الوسائل، فالفضائيات والأنترنيت والجرائد والمجلات والاتصالات بأنواعها، تخلق حالة من الصيرورة المطلوبة في توجيه النّاس نحو أفكار مختلفة يكون الالتقاء عندها هاجسا من هواجس البحث المطلوب؛ فالنّاس مشدودون إلى هذا الإعلام بكيفيات مختلفة؛ فعند توظيفه بالطريقة التي يتمّ فيها استنهاض الخوف، يكون التفاعل متحقِّقا وملبّيا لما يمكن أن يكون مساهما في صناعة المستقبل.

إنَّ الحياة تسير نحو الأمام بطرق مختلفة؛ فتكون الارتباطات المختلفة مدعاة لبناء ركائز يكون من ورائها تحقيق الكثير من التوجهات التي تكون أكثرها قائمة على اختزالية واضحة، فالإعلام في

هذه المواقف يستنهض النّاس نحو المتحقِّق وما سيتحقّق؛ فيكون الترابط الحاصل منتميا لكلّ ما يكون باعثا لامتدادات تكون موافقة للبداية التي يتمثّل فيها الانطلاق الأوّل، والإعلام يسمح بوجود فسحات كبيرة يكون من خلالها الوصول إلى المبتغى المراد، حتى أنَّ الناس جميعا يختلفون في استقبال المعلومة، ممّا يسمح بوجود تفاوت، لذا تكون المعلومة محصورة بين أمرين:

الأمر الأول:

مصدر المعلومة الذي تكون عنده نقطة البداية، إذ يعرض معلومته بطريقة تنمّ عن وجود امتدادات مستقبلية مرتبطة بالمعلومة، فكلً الوجود الخارجي القابل لاستلام المعلومة هو يرتبط بها بطريقة أو بأخرى، ممّا يحمّل نقطة البداية تبعات الصحة التي يجب أن تكون، لأنَّ ما سيحصل في المستقبل بكلّ ثوابته ومتغيّراته وتداعياته مرتبط بالبداية التي يُنظر لها دائما أنَّها الأساس الذي لا بديل عنه.

الأمر الثاني:

مستقبل المعلومة المرتبط باستنهاض الخوف لا بدَّ أن يمتلك نوعا من التكيّف مع هذه المعلومة، وهذا الأمر لا يكون وفق امتداد واضح عند كلِّ النّاس، بل يكون التفاوت حاضرا ممّا يطرح وجود

نهايات متفاوتة أيضا؛ فالمستقبل المطلوب قد لا يبدو متحقّقا حين يكون التفاوت حاصلا.

والإعلام يمكن أن يكون له دور فاعل حين يضع المستقبل أمام النّاس جميعا بالطريقة الافتراضية التي تجعل منه واقعا أمام العين، وذلك من خلال إيجاد تشكيلات شاخصة تطرح المستقبل كأنّه حقيقة ماثلة، وهذا الأمر نراه في كثير من الأحيان حين نشاهد نماذج من المشاريع الضخمة أو المجمعات السّكنية أو التجمعات السياحية قبل أن يتمّ تنفيذها، فمجرد أن نرى شكلها الافتراضي على طاولة العرض، نستشعر أنّ الخوف كان حاضرا منذ البداية من أجل أن يكون هناك حلا لمشكلة السكن أو لمشكلة العاطلين عن العمل.

2 – المراكز الدّينية:

تتمثل المراكز الدينيّة بمنابر المساجد والكنائس والدّير التي يكون الالتفاف حولها طواعية، فيكون استنهاض الخوف ذو فاعلية واضحة؛ فحضور النّاس بهذه الطّواعية يساهم بشكل أو بآخر في صناعة المستقبل، لأنَّ استنهاض الخوف الذي يصدر من هذه الأماكن الدّينية، يكون استقباله غير قابل للمعارضة الذاتية أو حتى للمعارضة الظنيّة؛ فيحصل بذلك استنهاض الخوف المطلوب الذي يفضي إلى صناعة المستقبل المراد.

والمنبر الدّيني يمثّل في جميع البلدان مركزيّة واضحة يلتفّ حولها الناس، فصوته لا يُعلى عليه وإن تكاثرت المراكز التي تظنّ أنَّها تمثّل صوتا مسموعا؛ فيكون الطرح الدّيني منتميا إلى تفريعات عدّة أهمها:

الجانب الدّنيوي:

يمثّل الجانب الدّيني حالة مهمة لأنّه ينظّم حياة الناس ويمنحهم ترابطات متنوّعة تكون سببا في كثير من التنظيمات التي تمنحهم أبعادا واضحة في الحياة، والنّاس يتوسّلون بالجانب الدّيني من أجل أن يكون حصنهم المنيع في هذه الدّنيا، ذلك أنَّ الحقوق والواجبات والمسؤوليات لا تصل إلى درجة التحقيق إلّا من خلال الدّين، لأنَّ بقاء الأمور وفق اجتهادات وآراء خاصّة تثير الفوضى ويخلط الحابل بالنابل، وتسير الأمور في متاهات لا يُعرف لها بداية أو نهاية.

هذا الجانب تكمن فيه الحلول الدّنيوية، لكن هذه الحلول هي غير منقطعة عن الآخرة؛ فهي تمثّل امتدادا لها، ولهذا سنجد في الجانب الآخر في المرحلة الثانية التي لا تنفكّ عن الجانب الدّنيوي ما يوازي هذه الحلول بدافع الخوف من الآخرة.

الجانب الأخروي:

يمثّل الجانب الأخروي امتدادا للجانب الدّنيوي، لأنّ كلّ الأوامر والنواهي التي كانت مفروضة في الدّنيا، كانت تتضمّن ما

تكون عليه النهاية حين يكون الخروج عنها حاصلا؛ فالدّعوة إلى الصدق مثلا، لا ترتبط بالدّنيا فقط، بل إنَّ نتائجها تكون في الدّنيا والآخرة؛ ففي الدّنيا يكون الصّدق معيارا لتوجيه الناس نحو ما يحقّق لهم السّلامة والآمان، ويكفل لهم البقاء عند الحدود الصحيحة التي يكون من ورائها النّجاة، أمّا الكذب والافتراء؛ فلا يكون مصيره إلّا الخذلان في الدّنيا والآخرة؛ فيكون استنهاض هذه المعايير مثلا باعثا إلى إيجاد حالة من التصحيح تكون نتائجها في الدنيا والآخرة، هذه الاستمرارية الحاصلة في استنهاض الخوف من قِبل هذه المنابر لا تنقطع أبدا حتى تصل الحياة الدنيا إلى نهايتها، وذلك لأنّ النّاس أخطاؤهم لا تنقطع؛ فيكون الارتباط حاصلا ضمن هذه التناوبية المستمرة.

إنّ استنهاض الخوف هنا قائم على إيجاد مستقبل قائم على الأوامر والنواهي فمن خلالهما يتحدّد المستقبل المطلوب؛ فتكون صناعة المستقبل قائمة على هذا الاستنهاض المستمرّ الذي يكون من خلاله وجود رؤية واضحة المعالم، قد يكون الخروج عنها حاصلا، إلّا أنَّه في البداية لا بدَّ أن تكون الرؤية خاضعة للتصحيح المطلوب الذي يكون مطلوبا كي يحقِّق صناعة المستقبل.

لذا نجد أنَّ التفاف النّاس حول المراكز الدّينية فيه رؤية مستقبلية يرونها دائما في عقولهم وعواطفهم، فيلتفّون حولها من أجل

إظهار التعلُّق الذي يمنحهم ترابطا قويا، يمثّل لهم دفعة تجديدية في مواصلة مشوارهم في هذه الحياة؛ فالنّاس يبحثون عن أسس تضفي عليهم امتدادا جديدا يسمح لهم بتملّك أمل جديد يكون من ورائه استمرارية تدفّقية تصل بهم إلى نهاية معاكسة لأفعالهم الخارجة عن كلّ الدّوائر الإيمانية، والتقاطع في هذه المراحل غير وارد، كونه يشير إلى توقّف غير مرغوب فيه أو غير مطلوب حقيقة، لأنّ التوقّف يجعل من هذه المراحل آنيّة وهذا مخالف للبداية المرادة وحتى للنهاية، لأنّ كلّ الأسس في البداية مبنيّة على وجود مغايرات متحقّقة، وتحقّق هذه المغايرات يحتّم على هذه المنابر البحث المستمر عن استنهاض واعٍ يمتلك كلّ الأدوات التي يكون من شأنها أن تصنع المستقبل المطلوب، ولهذا نحن نجد أنَّ هذه المنابر بتنوّعها لم تكن في يوم من الأيام بعيدة عن السّاحة الإنسانية في كلِّ تفاصيلها.

وصناعة المستقبل تمثّل حالة تتويجية لاستنهاض الخوف، هذه الصّناعة تستند إلى مجموعة من الافتراضات التي تساهم بشكل أو بآخر في وجودها، لكن هذه الافتراضات ليست بمجملها منتمية إلى فضاءات غير حقيقية، بل إنَّ الكثير منها ينتمي إلى الواقع المعاش الذي يكوّن لها أحد السُّبل في صناعة المستقبل، ولعلّ التكرار الحاصل في النّسق الإنساني يشير إلى هذه السُّبل التي تكون كفيلة في إيجاد ما يحقّق الصّناعة المطلوبة؛ فالتكرار الحاصل يشير إلى أنَّ الحياة فيها من

المتماثل ما يستمر وبدون إزاحات داخلية أو خارجية، ومنها ما يظهر فيكون باعثا إلى إيجاد ما يمنحه مكانة في هذا العالم الكبير.

إنَّ استمرارية استنهاض الخوف من أجل صناعة المستقبل تمرّ بتعاقبات متباينة؛ فتثير ما يمكن إثارته في سبيل خلق ديمومة لهذا الاستنهاض، ذلك أنَّ الاستمرارية التي نقصدها، هي استمرارية تتابعيه، لا تنفكّ أبدا عن المتابعة بكلِّ أشكالها، وذلك في سبيل أن لا تصل نقطة الافتراق بعد ذلك إلى طريق مسدود، وهنا يكون الامتداد مطلوبا، لأنّ السّعة المعرفية تحتاج إلى أمكنة مختلفة يكون فيها الظهور أحد الأسس المطلوبة.

إنَّ استنهاض الخوف يمثّل رسالة واضحة المعالم للنّاس جميعا، ذلك أنَّ حصول استنهاض الخوف يجعل إحساس النّاس بالمخاطر عاليا، وهنا لفظة (عاليا) توحي بتدفّق الكثير من الصّفات التي يكون من ورائها حصول الاستنهاض، فمن خلال ذلك يكون التحسُّب والحيطة والحذر وغير ذلك من الألفاظ التي تشير صراحة إلى تحقّق استنهاض الخوف.

يطرح هذا التعدّد الصفاتي وجود استقبال حقيقي من النّاس لهذا الاستنهاض، حتى أنَّ وسائل الاستنهاض المختلفة ظهرت وتظهر فعالياتها في هذا التحقّق، ممّا يعني وجود ارتباط حاصل بين هذه

الامتدادات الاستنهاضية؛ فيتشكّل بعد ذلك مستقبل قائم على صناعة موافقة للاستنهاض الذي قام به الخوف، فتكتمل الدّائرة ضمن هذه التتابعية، ممّا يجعل الحضور الكلي موافقا للعملية الاستنهاضية كونها ملتّفة حول هدف واحد تسعى جميع الأطراف إلى تحقُّقه.

ومع أنّ الحياة تتشكّل من مجموعة من التناقضات التي يكون حضورها حاصلا، لكن ليس بكيفية طوعية من تلك الشدائد التي يتعرّض لها الإنسان، ما يجعل حصولها خارج الإرادة البشرية، وهنا تتعاظم الأمور وتصل في كثير من الأحيان إلى درجة الهلاك التي تكون من بعدها الأمور في غياهب لم تكن بالحسبان؛ فيكون دور الاستنهاض حاضرا في مجابهة هذه الشدائد، والنظرة إلى الشدائد ليس من باب كونها حاصلة في هذه الآنيّة، بل من باب أنَّ امتداداتها وتبعيتها المختلفة، ستكون في المستقبل حاضرة أيضا، ولهذا يكون استنهاض الخوف ملبّيا في كثير من الأحيان لهذه المعالجة المطلوبة كون وقوعها يشير إلى نهايات غير مطلوبة أبدا، فيكون استنهاض الخوف هو البداية المطلوبة التي يكون من بعدها إحداث صناعة للمستقبل، فتمكّن هذه الصناعة من إيجاد حلول وبدائل لتلك الحلول، وهنا تكون الأمور في غاية الصّعوبة، لأنَّ وجود البدائل يعني أنَّ الحلول

الموجودة والمقترحة غير كافية، وهذا يطرح وجود مفاجأة لم تكن بالحسبان.

إنّ الشّدائد التي يتعرَّض لها الإنسان تخرج في كثير من الأحيان عن طاقته الاستيعابية التي تكون من خلالها مواجهة ما يحصل، وهنا يكون الاستنهاض مبنيا على هذه الاستيعابية، فيؤسّس من خلالها لكلِّ المراحل المستقبلية التي يكون الحلّ بها، ولعل البدايات الأولى لهذا الاستنهاض تكون غير موفّقة، إذ يكتنفها تعثُّر واضح نتيجة حصول فهم خاطئ أو إدراك غير واعٍ، فتكون النتيجة موافقة لهذه البداية.

عليه يجب أن تكون البداية متماشية مع المستقبل المراد في حركة أشبه ما تكون بالتحفيزية التي تفتح الطريق أمام كلّ الحلول الناجعة، فالتبعثر غير مطلوب، لأنّه يؤسّس لحلحلة غير موفّقة، فتكون النتائج المتوخاة ضعيفة؛ فتُسلب كلّ الحلول وحتى البدائل التي تظهر ممّا يطرح وجود خرق وراء كلّ ما يحصل.

وعليه: تمثّل صناعة المستقبل هاجسا للإنسان الواعي، فرؤيته للمستقبل تكون وفق دراسة علمية قائمة على استنتاجات وافتراضات تقوده نحو البحث عن هذا المستقبل، إلّا أنّ الدّافع الرّئيس لهذا الهاجس المستمر هو وجود خوف دائم من كلّ ما يحيط به، وبخاصّة من المنافسين له في المجالات التي تُعدّ من مرتكزات الحياة المهمة، هذه

المرتكزات بامتلاكها يستطيع الإنسان أن يكون من الذي يمتلكون زمام قيادة هذا العالم، فالدّول المتقدّمة لديهم من المرتكزات ما تَحقّق قبل وقته نتيجة التفكير المسبق به وحتى تحقيقه، أمّا تفكيرهم في اليوم نفسه؛ فهو منصبّ على المستقبل وما يجب أن يكون وفق رؤيتهم إليه، وهذا الأمر يدعونا إلى إعادة النّظر من أجل البحث ومواصلة الوقوف في أماكن جديدة، نكون فيها عند مرحلة جديدة، نستطيع من خلالها المواصلة والدّيمومة وإن كان الحضور في كثير من الأحيان بعيدا عن الطموحات المرجوة.

إنَّ استنهاض الخوف يسهم في جعل صناعة المستقبل متوافقة مع الماضي، لأنَّ الماضي هو المؤسّس للمستقبل، والمستقبل هو الحلّ لكلّ منغصات الماضي، لذا نجد أنَّ هذه العملية مرتبطة بعضها مع بعض في حالة مستمرّة، ممّا يطرح وجود ارتباط لابدّ من أن يكون دائما بالحسبان، لأنَّ التشكيل العام للحياة ينذر دائما بوجود هذا الارتباط، ممّا يكفل بوجود نهاية ملبِّية للبداية التي كانت سببا في صناعتها14.

درء المخاطر:

[14] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، شركة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 67 - 80.

يتّسم العصر الذي نعيش فيه بامتلاك القوّة حتى يمكن القول أنَّه أشبه بغابة كبيرة لا سيد فيها إلّا القوَّة، ممّا يجعل المعضلة الحقيقية سقوط كلّ المعايير التي من شأنها أن تكون سيّدة وحاضرة بين النَّاس جميعا، فالأخلاق والأعراف والقيم ليس لها مكان؛ فانتفاؤها يمنح القوّة الغاشمة المكانة المتقدِّمة، فتُختزل الحياة بهذه المفردة التي تقود النَّاس نحو نهاية بائسة يراد منها الخنوع والذلّ والهوان، ممّا يكتنف الحياة تصورات بعيدة عن البيِّنة التي يمكن أن تكون للنّاس؛ فتسقط الاختيارات التي تمنحهم الحرّية في التعبير أو اتخاذ القرار أو المكوث داخل أيٍّ دائرة يريدونها، وهنا تكون الوقاية عاملا من عوامل النجاة الذي يكون من خلاله الحصول ولو على أدنى شيء وهو البقاء بعيدا بحرّية وكرامة عن يدّ البطش والجبروت؛ فالوقاية يرتسم فيها الانكفاء عن كلّ ما يسقط أوراق الحياة الكريمة ويبدّد الحياة، ويدخلها في متاهات لم تكن بالحسبان.

ولذا فإنَّ درء الخطر في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع يتطلّب عملية تحديث مستمرّة تكون مواكبة لكلّ التطوّرات الحاصلة في العالم في جميع الجوانب؛ فيكون التدافع والتّتابع المعرفي من الأولويّات التي تكون الشغل الشاغل، ذلك أنَّ أيّ توقُّف أو تراجع يفتح ثغرات في هذا الحصن الذي يكمن وراءه كلّ قوّة يمكن أن تكون، وكذلك التّبعات التي تحدث، لها دور مهمّ في خلق حالة من

الاستدراك لكلّ المنجزات التي حصلت؛ فتكون نقاط العودة متسارعة تبحث عن نقطة الصّفر التي ينتهي كلّ شيء عند أعتابها، ويكون درء الخطر بكلّ تجلّياته حاضرا في مشاهد متعدِّدة يكمن فيها البحث عن تقوية الضعفاء الذين يمثّلون في حقيقة الأمر النقطة الأضعف، هذه النقطة يجب أن يكون لها مكان خاصّ يتناسب معها من أجل إعدادها إعدادا جديدا ينقلها إلى مكان جديد تستطيع أن تكون فيه قوّة فاعلة في الاعتراض على المظالم، هذا الاعتراض في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع يحيلهم إلى قوّة تنويرية جديدة يكمن فيها الرفض والتعبير الجديد المرتبط بحيثيات متناوبة يستشفُّ منها البحث عن الخلاص والابتعاد عن كلّ إهانة تهيّأ وتأهّبا للتدافع الحقّ، أمّا إذا لم يكن الأمر كذلك وارتضى الضّعفاء بالمظالم التي تلحق بهم، ولم يحرِّكوا ساكنا فلا داع أن يعترضوا على المظالم إذا ما لحقت بهم، ذلك أنَّ الحياة بكلّ تداعياتها تطرح كلّ الثنائيات التي يكمن فيها التحقّق على مستوى النَّاس جميعا، إلّا أنَّ التمثّل لهذه الثنائيات وجعلها أمرا محتّما دون محاولة خرقها أو تغييرها أو حتى البحث عن أسباب التغيُّر يعدُّ ضربا من العبثية الحقيقية التي يكون ما بعدها خرابا مستديما، وحتى لا يرتقي الإنسان فيها إلى الدرجة التي يجب أن يكون عليها وهي محاولة البحث عن حلٍّ لتأزُّماته المختلفة.

وهنا يطرح درء الخطر سمة اعتباريّة لمن يمتلكه، هذه السّمة لا تأتي من فراغ؛ فهي مبنيّة على الإقدام الذي يمثّل الخطوة الأولى؛ فالنّكوص والتباطؤ في معظم الأحيان تكون نتيجته وبالا؛ فالحياة في جميع جوانبها تسير ضمن إيقاع سريع من التطورات الهائلة التي تظهر يوميّا، وكلّ يوم يختلف عن سابقه؛ فيكون الإلحاق والدّفع سمة ثابتة لا يمكن التفريط بها، حتى أنَّ مفردة (درء الخطر) وما تعنيه لا يكون مدلولها في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع واحدا، إنّما يكون مدلولها متغيّرا مواكبا للحياة ومتطلّبات مشبعاتها المتغيّرة والمتطوّرة عبر الزمن، ولذا فالتغيّرات المتعدِّدة تطرح سمة جديدة أو إحالات جديدة يكون الانفتاح فيها تابعا لصيرورة متوالية، وهذا يخلق حالة من الإرباك في دائرة الممكن لكنَّه لا يدخل دائرة السّلب فيها، بل هو يدخل في دائرة الإيجاب، ذلك أنَّ الإرباك أو حتى الشكّ المستمرّ يخلق حالة من التّتابع لكلّ ما يجري؛ فتكون الغفلة معدومة أو حتى لا يكمن وراءها تبعات لا ترتقي إلى مستوى الفشل الذريع، وبعدها يكون درء الخطر متجدِّدا مع الحياة ويكتسي دائما بما يمنحه صلابة وبريقا، هذا الأمر كلّه يدعو إلى بلورة أفكار جديدة قوامها الاتكاء على عناصر متجدِّدة يفوح منها التحديث الواقعي الذي يبصر الفكر ويمنحه مديات بعيدة، هذه البلورة يكون من ورائها في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع خلق أساليب متعدِّدة ومتنوِّعة تكسب درء الخطر مرونة

جديدة تضاف إلى ما هو عليه، ولذا فنحن نرى إنَّ ثوابت الحياة يمكن أن تتغيَّر أو تتبدَّل أو حتى أن يضاف لها ما يضاف وفقا لِما هو متوقّع ولِما هو غير متوقّع، أي بحسب القراءة المستقبلية التي يكون فيها إجراء عملية تصحيحية لكلّ ما يمكن أن يُعدّ من الثوابت في دائرة الممكن.

وعليه: كلّما كان هناك فراغ سياسي، أو فراغ اقتصادي، أو فراغ أمني، كلّما حفّز الآخرين الذي يمتلكون القوّة على ملئه، ولذا فإنَّ درء الخطر في دائرة الممكن يؤدّي إلى بلوغ الحلّ الذي يحفظ البلاد وسياستها واقتصادها ومجتمعها من الاعتداء والعدوان، ومن هنا فإنَّ إعداد العدّة واجب، بل هو أمر للعباد من الله تعالى مصداقا لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}15، فكلّمة (أعدوا) تحمل في مفهومها ممّا تحمل من دلالة قوا أنفسكم وبلادكم وحدودها وما تملكون من ثروات وهويّة أمتكم من الاعتداء الظالم، فالوقاية كما يقولون خير من العلاج.

---

15 – الأنفال 60.

ولذا فإنَّ الاتجاه الوقائي هو درء الخطر في دائرة الممكن المتوقّع يستوجب العمل على تحقيق الأمن الغذائي وإلّا سيكون المجتمع معرّضا للمجاعة أو الفقر أو الحاجة، وفي دائرة الممكن قد تكون القوّة قمحا في مقابل قوّة نقدية لشرائه، وفي دائرة الممكن من يمتلك القوّة المالية بإمكانه أن يتعاقد مع الذين يستزرعون أراضيهم قمحا لسنوات، ولكن في دائرة غير المتوقّع إذا ما احترق القمح أو أُحرق وفقا لسياسة من يمتلك القوّة تصبح عقود الفقراء في مهبّ الريح، ويصبح ما يمتلكونه من نقود لا يشبع حاجاتهم من الطّعام، ولذا من أراد وقاية من هذه المخاطر وما يماثلها فعليه أن يستزرع أرضه قمحا أو يستزرع بدلا نافعا، وإلّا سيكون خير من يحافظ على ضعفه الذي يجعله في حاجة لمن يمتلك القوّة التي بها قد يساوم على حرّيته وحرّية بلده وما يتعلّق به من أمر، ممّا يحفّز الأقوياء إلى التدافع من أجل الاستفادة من خيرات الوطن وثرواته المتعدِّدة والمتنوّعة.

إذن الذي يمتلك القوّة الغذائية بفائض يمكن تصديره للذين لا يمتلكونه سيظل مخيفا للذين هم في حاجة إلى استيراده وبخاصّة إذا قرّر حرمانهم منها بأسباب احتراق القمح أو بأسباب أخرى، منها الضّغط الساسي من أجل تقديم الكثير من التنازلات على حساب الثرّوة أو الحرّيّة والكرامة، وهنا سيظل الضّعيف ضعيفا في هذا الاتجاه إلى أن يتمكّن من امتلاك مقاليد القوّة التي تجعله منتجا مماثلا للذي كان

يحتكر الإنتاج ويهدّده بين الحين والحين، وسيظل المخيف مخيفا إلى أن يمتلك الخائف حرّيّته وثروة وطنه ويتحوّل من خانة الاستهلاك إلى خانة الإنتاج حينها يدخل في إعداد العدّة، ويصبح مرهبا للذين كانوا يعتقدون أنَّهم وحدهم القادرون على الإنتاج واحتكاره، وحينها يُحسب له ألف حِساب ويُعتبر ويُقدّر ويتمّ الاعتراف به مع فائق الاحترام، وهنا فمن لم يفكّر فيما يُفكِّر فيه أكثر من مرّة؛ فلا شكّ أنَّه سيكون في دائرة الممكن معرّض لِما هو متوقّع ولما هو غير متوقّعٍ ومن لم يق نفسه من المفاجئات لا يستغرب إنْ ألمَّ به ما ألمَّ[16].

الحوافز تقوي دافعية المشاركة:

الحوافز الداعمة هي ذات الأثر الموجب في تقوية دافعية الأفراد للمشاركة الفعّالة، أما الحوافز التي تُقدَّم ولا تترك أثرا موجبا لا يمكن أن تكون ذات قوة دافعة للمشاركة الفعّالة، أي أنها قد تدفع إلى المشاركة ولكن لا تحقق درجة الفعالية في نفوس الأفراد. وذلك إما لأنها لا تتماثل مع الجهد المبذول. أو الوقت المستغرق في عمليات التنفيذ. أو أنّها لا تتماثل مع ما تحقّقه من إنجاز كبير. فالحوافز تُشجّع العاملين والمتعلمين والمبدعين على زيادة الإنتاج وفقا للجهد المبذول ونوعيته ورقي مستواه ودرجته.

[16] عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقع وغير المتوقع) شركة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 175 - 181.

وعليه:

. لا تغفل عن أهمية الحوافز الدّاعمة والدّافعة لزيادة الإنتاج والإبداع.

. اعتمد الكلمة الطيبة مع العملاء تنال تقبلهم واحترامهم.

. ضع دائرة الممكن نصب عينيك كلّما أجريت دراسة حالة أو شاركت أو دُعيت للمشاركة في رسم الخطط والاستراتيجيات.

. حدد الحوافز وفقا للجهد المبذول والوقت المستغرق في عمليات الإنجاز والعائد من العملية الإنتاجية.

. قدّر طموحات الأفراد والفروق الفردية بينهم وحثّهم على المنافسة الإبداعية.

. أعمل على إزاحة الظّنون من أنفس الأفراد الذين لا يرون مقدرة لهم على العمل والإنتاج وقبول التحدّي. وعليهم أن يعرفوا أنّ الظنون قيم نتائجها سلبية إذا ما وضعت على الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات والهيئات والجمعيات العاملة تحت المظلة الأهلية أو الحكومية، ولهذا فمن يتقدم إلى المشاركة بفعالية تُزاح الظنون عنه، ومن يتقدم إلى المشاركة بدون فعالية تضع الظنون عليه. ولهذا الفاعلية قيمة إيجابية تُمكن من إزاحة الظنون. وخير ما يسهم في إزاحة الظنون

هي قوة العزيمة والتصميم. ولذا ينبغي أن تُقوّى عزائم الأفراد وإرادتهم ليتمكّنوا من إدارة شؤونهم عن وعي وتصميم وبكل إرادة.

وعليه:

مارس حقوقك بلا تردّد.

أدّي واجباتك بثقة.

احمّل مسؤولياتك بحرّية.

ومن هنا ينبغي على مؤسّسات الدّولة ومن خلال خبرائها والمتخصّصين في التنمية البشرية والخدمة الاجتماعية ومن خلال مراكز البحوث أن يعملوا على الآتي:

. تمكين أفراد المجتمع من تحمّل الأعباء التي يجب أن لا يتخلوا عنها كمواطنين لهم من الإمكانات والقدرات والاستعدادات ما يمكِّنهم من ذلك.

. تمكّين أفراد المجتمع من حمْل مسؤولياتهم الناتجة عمَّا قاموا به من أفعال وذلك لتأكيد ذات كلّ فرد وأهميته وأهمية دوره في المجتمع.

. حمْل المسؤولية عبء يستوجب التحمّل في سبيل بناء الذّات في نفوس أفراد المجتمع.

. تمكين أفراد المجتمع من ممارسة كلّ ما يتعلق بهم من أمر (قول وفعل وسلوك).

. دفع أفراد المجتمع إلى حمْل الأعباء الجسام للمسؤولية، دون كلل ولا ملل، وتحمّل ما يترتّب عليها من مسائلات أو عقوبات أو مكافئات.

. تمكين الأفراد والجماعات من الإقدام على تأدية ما يتعلّق بهم من أمر وتحمُّل ما يترتّب عليهم من إجراءات يعزز ثقته بأنفسهم، ويُمكِّنهم من المشاركة الفعّالة.

. تحسيس الأفراد بأهمية المسؤولية فيما يؤدّونه أو يلعبونه من أدوار.

. حث الأفراد على تأدية الوظائف الاجتماعية على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي كلّ حسب الدّور والاختصاص والمؤهل الذي تعتمده القوانين والتشريعات النافذة في مؤسسات وهيئات المجتمع.

. تحريض الأفراد على ممارسة الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بلا إنابة ودون زيادة أو نقصان، اعتمادا لقيمة المساواة بين المواطنين في الدّولة.

. تحريض أفراد المجتمع على تأدية الواجبات الاجتماعية والوطنية في مقابل ما يمارسونه من حقوق بإرادة.

. الإسهام في دفع عمليات التفاعل الاجتماعي وفقا للمعتقدات الدينية والأعراف المعتمدة في قيم المجتمع.

. الإسهام في عملية التغيير المستهدف من قبل مؤسّسات المجتمع وهيئاته، ووفقا لخططه واستراتيجياته التي تنقله إلى مستويات قيمية وحضارية أكثر رقيا وتقدّما.

. تغيير أحوال الأفراد من الالتجاء والرّكون إلى مواقع الاستثناءات التي يمارس فيها السّلوك الانحرافي أو الشاذّ، والعودة به إلى الجلوس على القواعد التي تمدّه بالثقة وتُمكّنه من الاعتماد على إمكاناته الهائلة فيما يجب.

. الإسهام في عمليات التغيير الهادف الذي يؤدّي إلى تنمية القدرات واستثمار الإمكانات وتحقيق التقدّم الثقافي والحضاري لأفراد المجتمع وجماعاته.

وعليه:

. مارس حقوقك.

. أدي واجباتك.

. أحمْل مسؤولياتك.

. أصنع التغير.

. حقق التغيير.

. قارن بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، وأقدم على ما يجب.

. تطلّع لأداء وظائفك الاجتماعية بكل ثقة.

. أنزع الخوف من نفسك لتتشرّف بتحدّي الصّعاب.

. ثق أن كل شيء في دائرة الممكن قابل للتغير والتغيير.

امتلك الإرادة في كلّ أمر يتعلّق بك.

أثبت وجودك وذاتك بالعمل.

أهّل نفسك للمستقبل.

أبحث عن قدوة حسنة.

كن قدوة حسنة لغيرك.

اعتمد التغيُّر قاعدة وإلا سيعتمده لك الآخرين.

. أعرف أنّ الجمود والسّكون استثناء فلا تركن إليه، واعمل على التغيير الموجب.

ولذا فعلى المسؤولين في الدّولة أن يعملوا ما في وسعهم على إيجاد الحلّ بدلا من الاقتصار على عمليات الإصلاح. ولأجل أن يحدث التغيير الموجب يجب على كلّ مفردة من مفردات المجتمع أن تتحمّل ما يترتب على كلّ ما تقوم به في ضوء اختصاصات وصلاحيات وأدوار ومسؤوليات، وفي ضوء الاتجاهات والشرائع والقوانين والأعراف التي تُكوِّن الخصوصيات الاجتماعية. وعليهم أن لا يغفلوا عن:

. تحسيس أفراد المجتمع بأهمية إمكاناتهم المتعدّدة والمتنوعة، وتمكينهم من معرفة فوائدها حتى لا يكونوا عالة على غيرهم.

. تمكين الأفراد من معرفة إمكاناتهم من حيث المقدرة والاستعداد ومن حيث الخبرة والتأهل والتجربة، حتى يُدركوا حقيقة أمرهم ومالهم من قوّة.

. تمكين أفراد المجتمع من معرفة إمكاناتهم الذاتية التي هم عليها والتي هم يمتلكونها، وتوجيههم إلى استثمارها الاستثمار الأمثل.

. تفطين أفراد المجتمع من غفلتهم وتوجيههم إلى العمل المنتج يُمكِّنهم من نيل التقدير والاحترام من الآخرين.

. دفع أفراد المجتمع ومؤسّساته وهيئاته إلى استثمار الإمكانات المتاحة في الأوجه المرضية التي تؤدّي إلى إشباع الحاجات المتطوِّرة للأفراد والجماعات.

. معرفة الإمكانات المتعدّدة التي يمتلكها المجتمع والعمل على تسخيرها فيما يُفيد ويعود على أفراده وجماعاته بالنفع

. تمكّين الأفراد من ممارسة حقوقهم، في كلّ ما يتعلق بهم من أمر، يجعلهم قوّة بنائية في مجتمعهم وبلدانهم، ويُمكِّنهم من نيل التقدير من ذويهم وكذلك من الآخرين.

. توعية الأفراد والجماعات والمسؤولين والعاملين في مؤسّسات الدّولة على ترسيخ قيمة الاعتبار بينهم حتى يزدادوا رقيّا ومكانة.

. تنبيه مؤسّسات المجتمع ومجالسه وهيئاته وجمعياته إلى أهمية مشاركة أفراد المجتمع القادرين على أداء المهام التي تناط بهم في تحقيق التقدّم والتطوّر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي والذّوق والثقافي.

. حث الأفراد على أداء واجباتهم التي هي حقّ لهم في مقابل ما يمارسونه أو يقدمون على فعله والقيام به.

. دفع أفراد المجتمع القادرين على أداء واجباتهم إلى المشاركة في كلّ ما يتعلق بهم من أمر حتى يتحمّلوا مسؤولياتهم ومسؤوليات الذين يتعلق أمرهم بهم.

. مراعاة قدرات أفراد المجتمع حتى لا تنجم ضغوط نفسية أو بدنية وتؤثّر سلبا على حالاتهم، والعمل على تنميتها فيما يفيد المجتمع.

. توعية الأفراد بإمكاناتهم المتعدّدة وتفطينهم لها من أجل استثمارها بما يحسّسهم بالقدرة على العطاء ويدفعهم للاستزادة التي تطوي الهوة بينهم وبين تحقيق النُقلة.

. تحريض أفراد المجتمع على تبادل الاحترام والتقدير، حتى يتخذوا المنطق حُجّة بينهم وترتوي أنفسهم بالطيبة والرّقي السّلوكي.

. وفقا لقاعدة النسبية يجب مراعاة درجات استعداد أفراد المجتمع للعمل والعطاء، حتى لا تصدر قرارات من جهات العمل وتعمّم على الجميع وكأنّهم نسخة واحدة لا فرق بينهم في درجة الاستعداد النفسي والبدني والرّغبة والطموح.

. مراعاة المهارات المتنوّعة لدى الأفراد العاملين والأفراد الذين يبحثون عن العمل وتوجيهها فيما يمكن أن يفيد وينفع المؤسّسة والمجتمع.

. مراعاة المستويات التعليمية في توجيه الخريجين والباحثين عن العمل ومراعاة تخصّصاتهم حتى يُنسّب الخريج المناسب إلى المكان المناسب.

. التأكيد على قيمة التقدير المتبادل بين العاملين في المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني، وسيادتها بين العملاء والزبائن والأخصائيين الاجتماعيين وذوي العلائق بكل أمر.

. دفع الأفراد لاستثمار إمكاناتهم الذّاتية فيما يفيد والبحث عن مصادر أخرى تُسهم في الإسراع بحركتهم تجاه الأهداف التي حدّدوها للمستقبل الذي يأملونه.

. توجيه الأفراد إلى ما يؤدّي بهم إلى المشاركة التي تزيد قوّتهم قوّة، وتمكّنهم من الاعتماد على ذاتهم في حالة إي تحدّي خارجي لهم أو للمجتمع الذي ينتمون إليه.

. التأكيد على قيمة الاستيعاب المتبادل بين الأنا والآخر حتى يُمكِّن أفراد المجتمع من الألفة والوحدة.

الإمكانات تصنع المستقبل:

ولأن الإنسان إمكانات هائلة ومتعددة، فلِمَ لا يُمكّن من أداء المهام وفقا لإمكاناته حتى يتفوّق وينتج ويبدع في مجالات اهتمامه

ورغباته. فالإنسان كمفردة بشرية يمكن أن يكون شاعرا، وفي الوقت ذاته يمكن أن يكون مهندسا أو طبيبا، وكذلك رياضيا، أو رسّاما أو نجّارا. ولأن الإنسان إمكانات متعددة، فهو قوّة لا يستهان بها، ولذا ينبغي أن تُوجّه إمكانات الإنسان إلى ما يجب، حتى يستفاد منها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

وعليه:

. اكتشف إمكاناتك لتتمكن من نيل التقدير.

. أظهر إمكاناتك، لتنال الاحترام.

. طوّر من إمكاناتك، لتحدث النقلة.

. استثمر إمكاناتك، لتصنع مستقبلا.

. وجّه إمكاناتك، لتُبدع وتتطوّر.

ولأن الإمكانات في بعض الأحيان هي كامنة، فهي ما لم تستفزّ قد لا تظهر إلى حيّز الوجود، وإذا لم تستثمر قد تؤدّي إلى انحرافات سلبية غير هينة. ولهذا فمعظم الشباب هم في حاجة ماسّة لمن يساعدهم على إخراج إمكاناتهم وتوجيهها وتهذيبها ثمّ استثمارها بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالمنافع.

ولذا فالقاعدة هي:

1 .كشف الإمكانات.

2 . استثمار الإمكانات.

3 . توجيه الإمكانات.

والاستثناء هو:

1 . عدم كشف الإمكانات.

2 . عدم استثمار الإمكانات.

3 . عدم توجيه الإمكانات.

ولهذا فالإنسان الذي لا يتمكَّن من إظهار قوته ولا يستطيع تنمية قدراته هو في حاجة لمن يساعده على اكتشاف إمكاناته واستثمارها وتوجيها وتوظيفها، وهنا يكمن دور الأخصائي الاجتماعي، فلا ينبغي أن يغفل.

وعليه:

. اكتشف إمكاناتك واستخدمها بثقة.

. اكتشف قدراتك واستثمرها بيسر.

. اكتشف طاقاتك ونمّها إلى أقصى حد.

. اكتشف استعداداتك وهيئها للإقدام على ما يجب.

. امنح نفسك فرصة التطلّع إلى تجاربٍ الآخرين.

ولأنّ الإنسان قوّة من مجموع مكوناته، لذا فإن عطب أو فقدان حاسّة من حواسه لا يعني أنّه ضعيف وفقد القوّة، بل في حقيقة الأمر فقد شيء بسيط من مجموع إمكانات القوّة، ولهذا عليه أن يستثمر باقي قواه ويعمل على تنميتها تحدّيا للضّعف الذي لا سبيل له إلّا الهاوية. ولهذا على الإنسان أن يعرف أنّه:

قوّة في ملكاته العقلية.

قوّة في حواسه.

قوّة في احتواءه للتاريخ، وصناعته له.

قوّة في استطاعته.

قوّة في تحمُّله وصبره.

قوّة في قراراته.

قوّة في استقراءه واستنباطه واستنتاجه.

قوة في خبراته ومهاراته ومعارفه.

قوة في تطلّعه وآماله.

. قوّة في تقبله التحدّي.

ومع أنَّ الإنسان قوّة متكاملة، ولكن في حالة عطل أي جزء منها؛ فالمتبقي قوّة على الرّغم مما يتركه الزّمن من أثرٍ.

وعليه:

اعرف أنّك قوّة.

لا تغفل عن مكامن قوّتك.

هيئها لكلّ حين.

ادعم مواطن القوّة فيك.

عالج نقاط ضعفك.

اكتشف مواطن قوّتك.

ابحث عن أساليب جديدة لاستخدامها.

تخلَّص من نقاط الضّعف.

. اجمع نقاط القوّة حتى تزداد قوّة.

. تأهّب للإقدام على الفعل الموجب فإنّك قادر.

وعليك أن تعرف أنّه لا تقدير ولا احترام إلّا بأفعال تستوجب التقدير والاحترام، ولأجل نيل ذلك يجب على المسؤولين:

. تمكين أفراد المجتمع من نيل التقدير والاعتراف وذلك بدفعهم لممارسة حقوقهم وتأدية واجباتهم وحمْل مسؤولياتهم بنجاح وإخلاص.

. تحسيس أفراد المجتمع بالتقدير والاعتراف مقابل ما يقومون به من مهام ناجحة على مستوى الأسرة أو الجماعة والمجتمع، أو ما يقومون به موجبا في مجالات الإنتاج والعمل والتعليم أو مجالات البناء والعمران والعلائق القيمية التي تمدّ أفراد المجتمع بالمحبة والتفاعل والتعاون والمشاركة الهادفة.

. الاعتراف بأنّ لكلّ مفردة من المفردات الاجتماعية وظيفة، ينبغي أن تؤدّى حتى تتكامل جهود البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بناء الذات الاجتماعية، وفي ذات الوقت تؤدّي إلى التطلّع للأفضل والأنفع والأرفع.

. تفطين أفراد المجتمع ومؤسّساته إلى أهمية التحصيل العلمي المتطوّر والمتجدد في تنمية الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لجميع المواطنين.

. الاعتراف للفرد والجماعة والمجتمع بأنّ لكلّ منهم أدوار ينبغي لعبها والقيام بها في حدود إمكاناتهم وقدراتهم واستعداداتهم، وبما يعود عليهم جميعا بالنفع والفائدة المشتركة، فلعب الأدوار يزيد المجتمع وحدة وتماسك.

. تحفيز أفراد المجتمع الملتحقين بالعمل على الازدياد في العطاء، وذلك بتدليل الصعاب التي قد تواجههم، وهم يقدمون على بدل الجهد المناسب تجاه الأهداف العامّة التي حدّدها المجتمع لصناعة مستقبله الأحسن والأجود والأفيد.

. رسم الخطط والاستراتيجيات الموضوعية التي تحقق اللُّحمة الاجتماعية أو الوطنية، وتزيد درجات التفاعل بين الأفراد والجماعات سواء الذين يعيشون في المدن أو الذين يعيشون في القرى والضواحي.

. حث الأفراد على أداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعية حتى يتمكَّنوا من نيل التقدير والاعتراف.

. تشخيص حالات العاملين والباحثين عن العمل وتصنيفهم بمعايير قيمية حتى تتمكّن مؤسّسات المجتمع الخدمية والإنتاجية من تمكين الشّخص المناسب في المكان المناسب، أو الاستغناء عن خدمات البعض إذا ما تبيّن أن شخصياتهم تتمركز على المستوى القيمي الشخصاني، ليتولى الأخصائي الاجتماعي حالاتهم بالدّراسة

حتى بلوغ العلاج الذي يُمكِّنهم من العودة إلى بيئاتهم الصّالحة للحياة الاجتماعية السّوية.

. التعرّف على مستويات العمل وتبيانها للباحثين عن العمل لأجل تقديم المشورة والنّصيحة وفقا لمعطيات موضوعية ومنطقية سواء التي تتعلّق بالقيم التعليمية أو المتعلقة بالقيم الصّحية من حيث القدرات والاستعدادات وكذلك من حيث توافر المهارات والخبرات من عدمها.

. تأهيل الأفراد والجماعات على المشاركة وبذل الجهد حتى يتم نيل التقدير والاعتراف.

. تعزيز العطاء الموجب والمشاركات الفعّالة بين أبناء المجتمع بالاعتراف والتقدير الذين يَمُدا عملية المشاركة الاجتماعية بالاستمرارية.

. التقويم المعياري عند تقديم المساعدة الهادفة أو عند إبداء الآراء المهنية يُمكّن المتخصّصين من إصدار أحكام وقرارات موضوعية صائبة.

. تنمية العلائق بين التكوينات الاجتماعية وجماعات العمل والمناشط المتنوّعة والمتعدّدة بغرض زيادة وحدتهم ومضاعفة قوّتهم تجاه

الأهداف الاجتماعية أو تجاه أهداف المؤسّسات والهيئات والجمعيات والشركات العاملين فيها.

. العمل بموضوعية مع الحالات المختلفة والمتعدّدة والمتنوّعة وفقا لمستوياتها القيمية وانتظامها على السّلم القيمي الاجتماعي أو الإنساني، وفي مختلف المجالات من أجل إيجاد حلول ومعالجات تؤهّلهم إلى المشاركة والتفاعل الموجب.

الإصلاح يهيئ إلى صُنع المستقبل:

الإصلاح جهد يبذل بهدف الاستفادة ممّن يمكن الاستفادة منهم، وكذلك ممّا يمكن الاستفادة منه، أي إنّه يتعلّق بالنّاس وما يمتلكون، فالنّاس كلّ النّاس ليس سواسية، فمنهم من له من القدرات والإمكانات ما له، ومنهم على غير ذلك، بل هناك من هم على العوز والحاجة. ولهذا وجب الإصلاح حتى يتمّ تسخير كلّ ما يمكن في سبيل صُنع المستقبل المأمول.

ولأنّ الإصلاح يهيئ إلى صُنع المستقبل المأمول؛ فهو ضرورة، ولتوضيح ذلك أقول: إصلاح الشأن العام يستوجب تسوية فهو مثل الأرض المستهدف زرعها وهي غير موسوِّية؛ ممّا يستوجب تسويتها وتهيئتها إلى الزّراعة المثمرة.

فالإصلاح كونه قيمة حميدة فهو كما يحدّ من الإفساد يحدّ من التطرّف، ولكنَّه لا يقضي على أيٍّ منهما؛ فالّذي يقضي على الإفساد والتطرّف هو الحلّ، ولأنَّ الإصلاح يعطي الفرصة لكلٍّ من الأنا والآخر لأنْ يعيد حِساباته ويهذِّبَ تصرّفاته ويحدّ من انحرافاته السلبيّة، فهو الممكّن من تبدّل وتغيّر الأحوال والعلاقات بين النَّاس من جهة وبين الذين ينصبون لهم العداءات.

ولأنَّه الإصلاح؛ فهو بدون شكّ نقيض الإفساد، أي أنَّه العلاج المناسب لمقاومة الإفساد، ولأنَّ العلاقة بينهما علاقة مقاومة، فهي علاقة نقيضين، ولأنَّهما النقيضان؛ فمغالبة أحدهما للآخر ليست بالأمر الهيّن، فهما المتساويان من حيث القوّة كلّما يتواجهان، ولكن يظل للامتداد بينهما هامش يستوعبهما دون رفض.

ولمتسائلٍ أن يتساءل بعد استغرابه لوجود تضاد علائقي لا تتحقّق المغالبة فيه بين الإصلاح والإفساد، بقوله: أهكذا تظل الأحوال على ما هي عليه صداما مستمرا بين إصلاح وإفساد؟

أقول:

نعم، ستظل الأحوال هكذا إلى أن يتمّ بلوغ الحلّ الذي به يتمُّ تجاوز الإصلاح الذي يقتصر على إصلاح ما يَفسَد دون أن يقضي على الفساد؛ فالذي يقضي على الفساد هو الحلّ.

فالمجتمع مكوّن علائقي تأسّس على الفرد والجماعة حتى أصبح مكونا اجتماعيا في ذاته، وله من الرّوابط ما له، وله من العلاقات ما له، وله من الأعراف والعادات والتقاليد ما له، وله من الخلافات مع الغير ما له، ولهذا كان الاضطرار ضاغطا على الأفراد والجماعات بأن يشكلوا لحمة اجتماعية يكون الشيخ رأس قمتها. وبعد أن تعقّدت العلاقات وتطوّرت الحاجات وكثرت المجتمعات تأسّست الدّولة ونشأت؛ فكان لها رئيسا وفقا للشرائع والدّساتير والقوانين المختلفة، وبين هذا وذاك استمر ذلك الخلاف الذي بداء أوّل ما بدأ بين ابني آدم، ثمّ تطوّر فأصبح صراعا بين القبائل على المرعى والمشرب، ثمّ أصبح بين الدّول استعمار من بعده استعمار، وهكذا الصّراع يتلوّن حتى أصبح صراعا بين الحاكم والمحكوم، وبين حزب وآخر.

وبالرّغم من ذلك تشابكت مصالح الشّعوب بتشابك علاقاتها من جهة، ومن جهة أخرى انفصلت العلاقات وتقطَّعت بتطرُّف بعض الأفكار المنظّرة لها؛ فبعدت المسافات بين من تشابكت علاقاتهم وترابطت، وبين من تأزُّمت أحوالهم وتطرَّفت أفكارهم في معالجة القضايا المشتركة؛ فتكوَّنت الأوطان بحدود ملكية المشرب والمرعى والمسكن والثّروة، وأصبح لكلّ وطنٍ مركز (رئيس دولة) وراية ونشيد وطنيّين وأصبح له جُند لحراسة حدوده، ورجال أمن لرعاية

العلاقات بين المواطنين كلّ وفق حدوده التي ينظمها القانون، ولكلٍّ شِرعة ومنهاج. ومع ذلك لم يكن الكلّ منتظم على السُلَّم القيمي المستمدّ من الأديان والأعراف والدّساتير المقرَّة اعترافا وتقديرا واعتبارا؛ فكان الصِّدام وكان التطرُّفَ بين مركزٍ عام ومركزٍ اجتماعي أو مركزٍ تنظيمي (حزب) أو طبقة من طبقات المجتمع، وكان الصِّدام والتطرُّف بين مركزٍ فرعي ومركز آخر من الفروع المتعدّدة داخل الوطن، وكان الصِّراع والصّدام بين من يؤمنون بدينٍ، وبين الذين يؤمنون بدينٍ غيره، وكان الصِّدام والتطرَّف بين مراكز الشّرطة والمراكز الأخرى في الوطن، وكان الصِّراع والصّدام بين الفرد والجماعة وأَحَد المراكز أو المركز العام، ممّا جعل الصِّدام يتنوّع وتتعدّد مصادره الفكرية التي جعلت الدّماء تسيل وتُهدر في كثيرٍ من الأحيان بغير حقٍّ.

أمَّا تلك الأوطان التي تأسّست علاقات مواطنيها على الشفافية الكاشفة للحقيقة (هي كما هي) جعلت الوضوح في العلاقات بين المواطنين وبين المركز الرّئيس، والمراكز الفرعية الأخرى علاقات إظهار الحقيقة وكشفها للتقييم والتقويم دون تجنّي بغير حقّ؛ فهي التي تأسّست العلاقات فيها دستوريا، ممّا جعل المواطن يعرف عن بيّنة ما له ليأخذه دون تردّد، وما ليس له ليمتنع عنه ويحترم أصحابه، وما يجب عليه تأديته تجاه نفسه والآخرين وتجاه الوطن الذي فيه تُمارس الحقوق وتؤدّى الواجبات وتُحمّل المسؤوليات.

ومن مجموع هذه المعطيات نشأت عاطفة الانتماء للوطن والولاء له بين قوّة وضعف؛ فهي تقوى بقوّة السّيادة الوطنية التي تجعل كلّ مواطن هو المركز المستمرّ، في مقابل المركز الرّئيس غير المستمرّ (المواطن هو المواطن لا يُستبدل، والرّئيس مواطن قابل لأن يُستبدل).

ومع ذلك فإنَّ العاطفة في كثيرٍ من الأحيان ترتبط بالمصلحة قربا وبُعدا؛ فإنْ قويت على حِساب المنظومة العامَّة المؤسّسة للعلاقات بين المواطنين يجد أصحابها أنّهم في مواجهة القانون المستمدّ من الدّستور أو المستمدّ من الدّين أو العرف أو من صياغة موضوعية مستمدّة من تراث الأمّة أو من التراث الوطني الذي هو ملك للجميع بتنوّع أديانهم وأعرافهم وأعراقهم وعلومهم وثقافاتهم.

إنَّ العاطفة الوطنية للشعب هي بين امتدادٍ وانكماش تنشأ من معطيات وطنية تملأ المواطن ثقة ودفا، أو تملؤه غربة واستغرابا؛ فمن حيث تحقيق الثِّقة والدّفء والأمن يشعر الفرد بأنّه وطن بكامله يتألّم بآلامه ويسعد بسعادته ويأمل في آماله، أمَّا من حيث ما يملؤه غُربة واستغرابا؛ فهو عندما يُهمَّش وتُسلب إرادته لصالح آخرين أفراد أم جماعات أم مركز من مراكز القوّة الاجتماعية المتعدِّدة في الوطن أو لصالح المركز الرئيس (قمّة السّلطان).

ولأنَّ العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات مؤسّسة على مجموع الفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة منشأ العواطف الاجتماعية والإنسانية؛ فالإنسان دائما عندما تملؤه تلك الفضائل والقيم تدفعه العاطفة الإنسانية تجاه الآخرين الذين هم في حاجة؛ فيكون عونا لهم على ما يُمكِّنهم من إشباع حاجاتهم المتنوّعة والمتطوِّرة، ممّا يجعل عاطفة جديدة تنشأ لدى الآخرين مِن الذين هم خارج الحدود، وفي مقابل ذلك قد تنشأ أحقاد ومحاسد تجاه من هم خارج الحدود على ما لهم من فضائل خيِّرة وقيم حميدة، ممّا يجعل الفكر العدائي المتطرَّف في حالة امتداد تجاه الآخرين الذين لهم من الثروات والفضائل والقيم الحميدة ما يُمكِّنهم من العيش الكريم، وقد يصل الأمر بهم إلى الاعتداءات الظّالمة التي تدفع أصحاب ذلك الوطن الكريم إلى النّهوض والوقوف صفّا واحدا للمواجهة حفاظا على تراب الوطن ومكارم الأخلاق فيه.

إذن إصلاح الإفساد وأحوال المتطرّفين لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير والمتوقّع، ولكن كيف؟

نقول: قبول الآخر ضرورة من قِبل الذي كان سببا في تطرُّفه في الزّمن الذي لا تكون المسافات فيه قد بَعُدت بين الأنا والآخر، ولكن مع ذلك فإنَّ القاعدة المنطقية والعلمية جعلت (لكلِّ بداية نهاية) ولأنّ للتطرُّف بداية، إذا لابدَّ أن تكون له نهاية إذا قرَّر الأنا

والآخر أن يراجعا ما هما عليه، وما يجب أن يكون عليه كلّ منهما تجاه الآخر، الذي لا ينبغي أن يُنبذ أو يُقصى أو يُغيَّب أو يُحرم، وكذلك لا ينبغي الرَّفض الذي به لا يُقبل المركز مركزا بما أنّه إرادة أصبح مركز الوطن المؤقّت، مقابل استمراره مواطنا مركزا بكامل حقوقه وواجباته ومسؤولياته.

إنَّ العلاقات الاجتماعية ذات البعد الإنسان تؤسّس على احترام الآخر وتفهُّم أحواله وظروفه وتقدير أعرافه وأديانه التي تُنظِّم علاقات أفراده وجماعاته، دون أن تُكِنَّ كُرها للآخرين، ودون مواقف وأحكام مسبقة بلا مبرّرات موضوعية، وإن سادت الأحكام المسبقة كرها وبغضا دون تبيُّن قد تَتَأسّس عداءات وتُرتكب مظالم تجاه الآخرين، ممّا يجعل التطرُّف قيمة متبادلة تشبُّ نيرانها بين الأنا والآخر دون وسيطٍ قادرٍ على إطفائها إلى أنْ تحرق كلّ شيء ولا تطفئ إلّا بأسباب انعدام الوقود.

وعليه:

لا شيء يؤدّي للإفساد إلّا الخروج عمّا جاءت به الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، والانحراف عمّا يرسّخ قيمة الإنسان في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات، والإصلاح هنا يستوجب

دراسة حالات الأفراد أو الجماعات وتقييمها ثمّ تقويمها بما يمكّن من إصلاح أحوالها لتكون قوّة عاملة ومنتجة في المجتمع الذي تنمي إليه.

إنَّ العلاقة بين الأنا والآخر إن اكتسبت الضديّة تكون أرضا خِصبة للتطرُّف، ممّا يجعل البحث عن الحلّ يدور في فلكٍ نهايته غير معروفة، هذه الظروف إن تمَّ تفهُّمها يتمُّ إدراك حالة جديدة تنظر إلى كلّ ما يجري وفق منظور جديد يكون على أساسه الحلّ؛ فالبحث عن حلّ لا بدَّ أن يكون وفق صيغ توافقية تجمع المتفرّق، وتلغي الحواجز، وتفتح آفاق الحوار الذي به يتمُّ تجاوز المطالبة بالإصلاح إلى الحلّ المكبح لانتشار التطرُّف الذي بالوقوف على منابعه وتجفيفها بالحكمة يُقبر دون أن يجد من يتأسف عليه.

ومع أنَّ الأساليب السياسة في التّعامل مع القضايا المختلفة تُرسِّخ سياسة (الترويض) والتهدئة، إلّا أنَّ ما يجري بأساليب تنفيذ قرارات الحكم على الآخرين في كثيرٍ من الأحيان لا يُعدّ كذلك، ممّا يجعل مبرّرات ظهور التطرَّف مؤسّسة على الضرورة؛ فالسّياسة لو كانت ودّ بودٍّ لكانت العلاقات المترتّبة عليها توافقا وتكيفا وانسجاما، ولأنّها لدى البعض تطرُّفا فلا تكون العلاقة المترتِّبة عليها إلّا تطرُّفا.

والمتطرّفون مع أنّهم يقعون تحت طائلة القانون إلّا أنَّ المتطرّفين بالقانون لا قانون يلاحقهم سوى التطرُّف، وعندما يتبيَّن للمواطنين أنَّ مصدر الفساد والإفساد والتغييب والإقصاء هو رأس هرم السّلطان؛ فلن يحدّدوا هدفا سواه إلّا مَن تبنَّى تطرُّفاتهِ وعَمل بها، ولكن عندما يتبيَّن المتطرّفون أنَّ المفسِدَ ليس المركز فلن يتّجهوا إليه تطرُّفا، بل يتّجهون تطرُّفا إلى تلك الأدوات المتطرّفة في تنفيذ ما ليس هو بحقٍّ.

فإذا أخذنا أنموذجا واحدا من النماذج المنفذّة لأوامر رأس الهرم (أنا فقط) هي كما هي مسلّمات، وكان هذا الأنموذج هو الجيوش المقاتلة في جبهات القتال، التي تملؤها الحيرة بين أن تنفّذَ أمر الموت الذي يصدر لها من رؤوس الأهرامات (القمم السّلطانية) وبين ما يملؤها حسرة بأسباب ما تدفعه من ثمن داخل الحدود بأسباب الحرمان من ممارسة أقل الحقوق وأقل الواجبات وأقل المسؤوليات، وما تعانيه من حاجة في مقابل انعدام أو نقص مشبعاتها، وبين أن تقبل تنفيذ أمر الموت من أجل أن تسهم في تحقيق رغبة رأس الهرم، أنّها الحيرة التي تؤدّي إلى تحقيق نتيجة أحد أمرين:

أمَّا قبول الأمر والموت أو تحقيق النّصر.

وإما قبول الأمر ورفض الانتصار الذي يرغبه رأس الهرم وإن كانت الضحايا على الكثرة.

في مثل هذه الحالات تقبل الجيوش بالخيار الثّاني بإرادة وهي على قناعة بأنَّ القهر الذي كان يواجهها داخل الحدود ليس له بدّ إلّا أن يُقهر خارجها وفي أوّل فرصة تتاح، ممّا يجعل المقاتل يرضى بالاستسلام للعدو وهو يعلم أنّه على أمل للعودة بعد تفاوض يطول زمنه أو يقصر، أو أنّه يجد نفسه أسيرا على مستوى من العيش مهما وصل الحال به من سوء؛ فهو سيظل الأحسن من ذلك السّوء الذي كان يعانيه داخل الحدود، ولهذا من بقى من المقاتلين داخل الحدود يكون خير مستعرضٍ للقوّة عند تنفيذ أمر استعراضها بالوسائل التي جُمِّعت لحماية المركز وإرهاب المواطنين، وهو يعلم أنّه لن يكون خير مستخدم لها في ميادين المعركة إن شبّت نيران الحروب.

فالجيوش المنهزمة معنويّا ليس لها بدٌّ إلّا أنْ تقبل أنْ تكون أسيرة داخل الحدود وأسيرة خارجها كلّما أتيحت لها الفرصة المتربَّص بها من أجل التغيير، وحتّى لا يكون التعميم قاعدة مطلقة؛ فعلينا أن نقبل بالاستثناء قاعدة، استثناءً من كلّ قاعدة، فمِن المقاتلين من استشهد في جبهات القتال، ومنهم من عاد ومرارة الهزيمة تملأ نفسه وتدفعه إلى ما هو أشدّ وأعنف، ليكون متطرِّفا في وجه الأعداء سواء أكانوا في الدِاخل مواطنين رؤوس، أم أنّهم في الخارج من الأعداء، ومن

يبقى منهم مفاوضا لأجل صون ما تبقّى من حدود الوطن أو لأجل عودة الأسرى بسلام آمنين سيكون خير مفاوضٍ دون أن يجد الخوف منه ملجأ يلتجئ إليه، مثل هؤلاء لم تدخل نفوسهم مقارنات بين من يحتكر المركز ويقصره عليه داخل الحدود، وبين معتدٍ يودُّ أنْ يزيل الحدود ومن عليها من وجود بغير حقّ، ويظل رأس الهرم لا حيّزا له في ذهن المفاوض، لكن حيّزه بقي موجودا عند العودة التي اتّضحت فيها أمور جليّة أمام النَّاس جميعا، ورفعت الغشاوة التي غلَّفت رأس الهرم ومنحته مكانة لم تكن له، إنَّما كانت في عقول آثرت أن تراه وفق ما يريد أن يرى نفسه.

سياسة هذا حالها تزوّر الحقائق وتمجَّد المفاسد، كيف لها أن تتّعظ؟ وكيف لها أن تستوعب الحاضر، وتصنع مستقبلا أو تُحدث نُقلة إلى ما هو أفضل؟ وكيف لها أنْ لا تولِّد تطرُّفا ليكون من بعده الحلّ؟

ومن يريد لمشكلة التطرُّف السياسي إصلاحا أو حلّا، عليه ألا يغفل عن أهمية الاعتراف المتبادل بين الأنا والآخر على ممارسة حقوق غير منقوصة، وواجبات تؤدّى بإرادة، ومسؤوليات تُحمل دون تردّد، وإن لم يتمّ ذلك وفقا لعقدٍ اجتماعي؛ فإنّ التطرُّف سيكون هو البديل دون غيره.

وهكذا لمن يريد لمشكلة الاقتصاد إصلاح أو حلّا فعليه ألا يكون سببا في حرمان الغير ممّا يشبع حاجاتهم المتطوّرة؛ فالذي يُحرم من الماء الذي يروي ظمأه، أو يُحرم من الطّعام الذي يسدّ رمقه أو يشبع جوعه، ليس له بدُّ إلّا أن يقاتل من أجل الحصول على ما يُشبع حاجاته، وفي مثل هذه الحالات إنْ استخدم العنف وسيلة فأنّه ليس بمتطرّف، بل المتطرّف من كان سببا في حرمانه من الحصول على مشبعات حاجاته المتطوّرة سواء أكانت ملكيّة خاصة أم تعليمية أم صحية أم إنتاجية أم خدمية أم مشبعات غرائزية مشروعة.

إذن الاقتصاد الذي في تنظيراته الفكرية إقصاء الآخر من حقّ التملّك وحقّ المنافسة وحقّ البيع والشراء وفقا للجهد والمقدرة والإمكانات المشروعة هو فكر متطرّف، وكذلك إذا تأسّس المركز الاقتصادي على التأميم بغير حقّ، ومصادرة الممتلكات بغير حقّ، وحرمان المواطنين من البناء والإعمار بغير حقّ يوصف ذلك المركز بالمتطرّف، وفي مقابل ذلك إذا امتلك المواطن من الثّروة المشروعة ما يُمكّنه من استغلال الآخرين بغير حقٍّ فهو متطرّف، وإذا استغلّ ثروته في مُحرّم فهو متطرّف، ولكن إذا سعى بثروته استثمارا مطهّرا ضريبة وزكاة وصدقة فلن يجد التطرُّف في فكره ونفسه مكانا يركن إليه.

وعليه: كيف يقبل البعض بأنَّ الوطن ملكا عاما ولا يقبلون أن تكون ثروته حقّا عامّا إلّا نظريّا؛ ولهذا كيف تكون الدّولة ملكا

للجميع، ولا يكون فيها للفقراء نصيبا متساويا مع نصيب الأغنياء الذين أتيحت لهم الفرص بأسباب متعدّدة منها المشروعة (من عرق الجبين) وأكثرها غير المشروع، وهو ما أخذ بغير حقّ من ثروة الشّعب كما هو حال أولئك الذين استولوا على السّلطة في الوطن؛ فاستولوا على السّلاح والثّروة فيه بالقوّة؛ فامتلكوا كلّ شيء دون أن يتركوا للفقراء شيئا، حتّى أنَّهم شرّعوا كلّ شيء وفقا لما يُفسد الأخلاق ويقوّض القيم ويحقّر المواطن؛ فكيف يا ترى تكون الدّولة للجميع والقوانين التي تنظم الشّعب لا يشارك الفقراء في سنّها؟ كيف تكون الدّولة للجميع والفقراء غير قادرين على خوض معركة الانتخابات التي لا يخوضها إلّا غنيّا؟

مع أنَّه لا إصلاح إلّا بتدبّر عقلي ومعرفي إلّا أنَّ العقل المتدبّر هو الآخر يجد نفسه في حاجة لمن يصلح أمره، ومن هنا فأنَّ الإصلاح دائما يلاحق إفساد، ويقوّم اعوجاجا ويصوّب انحرافا، وهكذا كما أنَّ النّفس قابلة لأن تصلح أحولها؛ فكذلك العقل قابل للإصلاح كونه قابل للإفساد. ولكن بعض النَّاس عندما يبلغ الحال بهم إلى ما يبلغوا إليه فلم يستجيبوا للإصلاح، أي أنَّهم لا يفيقون بما هم عليه من مفاسد وذلك لكونهم قمّة المفاسد وكأنَّهم لا يعلمون؛ فمثل هذه القمّة ترى كلّ شيء تحتها ولا ترى شيئا يعلو عليها، ولهذا فهي ترى أنَّ النصائح وما يُرشد به من أخلاق هو الذي يتمّ إنزاله من

أعلى إلى الأدنى؛ فلا تقبل بأن يعلو إليها رأيا أو نصيحة، ولهذا فأمر الإصلاح لا يناسبها، بل الذي يناسب أمرها هو الحلّ الذي به تُحسم الأمور في الزّمن غير المتوقّع.

إنَّ قراءة الأحداث بمفاهيم خاطئة لا بدّ أن يؤدّي إلى نتائج خاطئة، وإنَّ قراءة التَّاريخ دون استخلاص عبر منه لا يمكن أن يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل ولا يُحدث النُقلة.

فالثّقافة التي لا تُحدث النُقلة ولا تُسهم في صناعة المستقبل الأفضل لن تكون قادرة على طي الهوة بين الأنا والآخر، بل في كثيرٍ من الأحيان بينهما تُشكل عثرة، فمن خلال تلاقح الأفكار والعلوم والمعارف المتبادلة بين الأنا والآخر تنصهر العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية في بوتقة التعاون والتوافق والانسجام والمشاركة والاستيعاب المكّن من الاعتراف والتقدير المتبادلين. ولكن إن انتشرت ثقافة الإكراه ورفض الآخر وحرمانه وتغييبه ساد الفساد في ميادين المعرفة التي تجعل من المكائد والدّسائس والتآمرات والاقتتال تطرُّفا بغير حقّ.

فأصحاب الثّقافة الذين يرون أنَّ رؤاهم وأفكارهم غير قابلة للدّحض ولا للنقاش، وكلّ من يخالفهم هو مخطئ على غير حقّ يجب

معاقبته، هذه الثّقافة إن سادت لا وصف لأصحابها سوى أنّهم من المغرورين أو حتّى من المتطرّفين.

ومن مظاهر الفساد الثقافي أنْ يَلُمّ الأنا بثقافة الآخر ثمّ يعمل كلّ ما في وسعه من أجل تبديل بعض مفاهيمها أو تزييف بعض مصطلحاتها أو أكثر من ذلك يعمل على إلغائها، وهذه قسريّة ثقافية؛ فبعض الأحزاب العقائدية عندما تستولي على السُّلطة تبدأ أوّل ما تبدأ بقسريّة الثّقافة، وهذا الأمر يؤدّي إلى الرّفض، ولذا فإنَّ أيِّ شيء يُفرض قسرا يُرفض إرادةً، وبالتّالي فإنَّ الثقافة القسريّة تحت أي شعار من الشّعارات هي المولِّدة للرّفض والتطرُّف؛ فعندما تخضع الأجيال إلى ثقافة المعسكرات كما كان حال المعسكرات الماركسية أيّام الاتحاد السوفييتي فإنَّ تشرُّب تعاليمها تلقينا يُسهم في تخريج دفعات ببغائية، عناصرها كأوراق سحب منسوخة بعضها من بعض، حيث لا مكان للاجتهاد المِمكِّن من حُسن التدبُّر وإظهار الخصوصية الواعية على المستوى الفردي والجماعي؛ فتلك التلقينات الببغائية بعد أن سقط الاتحاد السوفييتي من منصّة المنافسة الحرّة لم تُوجِدْ من يتأسف عليه؛ فالثّقافة التي تترك أثرا موجبا هي الثّقافة التي تُسهم في تهيّؤ الأفراد عن تفكُّر وتذكّر وتدبُّر وبكل إرادة، ثم تُمكِّنهم من أن يستعدّوا ويتأهَّبوا إلى الإقدام على الفعل وتمكِّنهم أيضا من التفكير أثناء التفكير، والتفكير أثناء القراءة، وأثناء الحوار والمناقشة والمجادلة،

وكذلك أثناء حدوث المفاجآت حتَّى لا تترك في أنفسهم علامات استغراب وتعجّب وحيرة وقلق وخوف واستفهامات مؤلمة.

وعليه: فالثقافة مكوِّن عام ونتاج عام من الرؤى والأفكار والتنظيرات والعلوم والمعارف والأعراف والأديان إلّا أنّها في دائرة الممكن تثرى بحاضنات فكريّة تجعل (المحضون في رعاية الحاضن). وبها تُسلب معطياتها أيضا.

وعليه:

بما أنّنا نعيش الحياة الدّنيا؛ فلا مفرّ من المفاسد، ولا مفرّ من الإصلاح؛ ولهذا وجب الآتي:

. المشاركة في تصحيح وإصلاح حال الأفراد والجماعات والهيئات والاتحادات والمؤسّسات والدساتير والقوانين والنّظم وكلّ ما يتعلّق بشؤون الدّولة ولكن من المفضل أن تكون بعد المشاركة في إجراء دراسات وافية موضوعا ومنطقا.

. الحث على تحسين أحوال النّاس العلمية والصحية والنفسية والمعيشية وتمكينهم من إصلاح أحوالهم من أجل بناء الذّات المتمكِّنة من الاعتماد على ما لديها من إمكانات وقدرات واستعدادات.

. المشاركة في الأعمال التي من شأنها أن تحقق الرّقي القيمي وترفع من مستويات أفراد المجتمع إلى ما يُمكّنهم من التطلّع للأجود.

. مراعاة طموحات الأفراد والجماعات وخطط المؤسّسات والجمعيات الأهلية والحكومية، بإسنادها في اتجاه ما يجب، وتحييدها عن اتجاه ما لا يجب.

. تفطين الأفراد إلى ما يجب أن يَقدِموا عليه وإلى ما يجب أن يبتعدوا عنه.

. غرس روح التطلّع إلى معرفة الجديد واختيار ما يُفيد وينفع الفرد والجماعة والمجتمع على ألا يكون على حساب القيم الفاضلة للمجتمع.

. الاطلاع على الجديد والمستحدث وكشفه لأفراد المجتمع حتى لا يتمّ رفضه لمجرد أنّه جديد وغير معتاد عليه.

. التمسّك بالمتغيرات الجديدة والمتأصلة في الفضائل وحث النّاس على التمسّك بها وعدم التنازل عنها.

. عدم الحكم على كلّ ما يأتي من بعض الأفراد بأنّه شطحات غير ذات معنى، حيث كثير من الشّطحات في التاريخ ساهمة في صنع الذاكرة الاجتماعية.

. تحديد الأهداف المستوعبة للجديد وتحفيز أفراد المجتمع على إنجازها بالسّبل المِمكِّنة في الزّمن غير المتوقع في دائرة الممكن الموجب.

. القيام بالمناشط الثقافية التي من شأنها أن تُسهِم في تحقيق الذّات الواعية اجتماعيا ووطنيان.

. تفطين الأفراد والجماعات لأهمية الزّمن وخطورته وحثهم على العمل بكل يقظة من أجل بلوغ غايات اجتماعية وإنسانية.

. مراعاة طموحات الأفراد والعمل على دفعهم إلى تحقيق ما يتماش والمتغيرات المستحدثة في المجتمع.

. إعداد البرامج والخطط التي تُسهم في تهيئة الاستعدادات كما تُسهم في تهيئة المؤسّسات والهيئات والجمعيات إلى ما يُمكِّنها من صناعة المستقبل.

. توجيه المقررات الدراسة وإعداد البرامج العملية التي تستوعب الأنا والآخر وتجعلهم قوّة من أجل مستقبل الوطن ومن أجل المجتمع الإنساني.

. غرس روح الطموح في الأفراد حتى يتمكَّنوا من استثمار إمكاناتهم وطاقاتهم من أجل بناء مستقبلهم.

. المشاركة في رسم السياسات والخطط التي تُمكِّن الأفراد والعاملين من أبناء المجتمع من الاعتماد على طاقاتهم لا الاعتماد على الغير.

. المساهمة في إعداد الخطط والاستراتيجيات وتحديد الأهداف المؤدّية إلى بناء الشخصية الوطنية التي تعرف ما لها وتقدم على أخذه أو ممارسته، وتعرف ما عليها وتقدم على أدائه أو تنفيذه.

. تفطين أفراد المجتمع من غفلتهم عن عدم استثمار إمكاناتهم البشرية والمادّية، وتطوير أساليبهم ووسائلهم في عمليات تنميتها.

. دفع أفراد المجتمع ومؤسّساته إلى البحث عن الموارد البديلة للتنمية المستهدفة في الخطط والاستراتيجيات المعتمدة لأحداث النقلة الاجتماعية.

. تحريض أفراد المجتمع ومؤسّساته على التعاون مع الغير الذي يمتلك المعرفة العلمية المتقدّمة أو التقنية المتقدّمة، حتى لا تحدث هوة بين طموحات المجتمع والواقع الذي هم عليه، مع مراعاة التقدير المتبادل حتى لا يكون استيراد التقنية على حساب قيم المجتمع التي تشكّل هويته.

. حث أفراد المجتمع على التمسّك بذاتهم الاجتماعية التي تميزهم عي غيرهم من الأمم والشّعوب، مع تقديرهم لخصوصيات الآخرين واحترامها.

وعليه:

الإصلاح قيمة موجبة تترتب على معرفة مسبقة بالخلل أو الانحراف السّالب، تم تحديد أهداف واضحة والعمل من أجل تحقيقها أو إنجازها وفق خطة مرسومة، مع تصميم واعٍ بما يجب أن يتمّ أو يؤدّى.

وعندما يترتب على الإصلاح تحسُن أحوال الفرد أو الجماعة والمجتمع فإنّ ذلك يعني أنّ تغيرا موجبا قد حدث على واقع أفراد المجتمع وكان له الأثر المفيد على ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذّوقية والثقافية. فالإصلاح يُحسَّن أحوال الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وعليه:

إنَّ للإصلاح مرتكزات قيمية منها:

. المرتكزات العلميّة (الإصلاح العلمي المحقّق للتنمية الرّوحية والمعرفية واكتشاف المناهج والطّرق والأساليب المؤدّية إلى التطوّر والتقدم الحضاري).

. المرتكزات الصحيّة (إصحاح البيئة، ووقاية المجتمع وعلاجه من الأمراض، وتحصينه من آفات المستقبل المتوقّعة).

. المرتكزات السياسية (إصلاح القرار والتنفيذ والمتابعة في ضوء حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات يتمّ حمْلها).

. المرتكزات الاقتصادية (الممكّنة من زيادة الإنتاجية المربحة وصيانة الملكية وممارسة البيع والشّراء بكلّ إرادة مع تفادي معطيات الخسارة).

. المرتكزات الاجتماعية (المؤدّية إلى تحيق التوافق والتكّيف الاجتماعي وتكوين علائق قيمية مرضية).

. المرتكزات الثقافية (الممكّنة من تقديم الحقيقة كما هي، لتُسهم في إزاحة الجهل وتدعم البحث العلمي بالموضوعية).

. المرتكزات الذوقية (الممكّنة من تحقيق الرّفعة في الكلمة والفعل والسّلوك).

. المرتكزات النفسية (الممكّنة من تحقيق الاعتبار وبناء الذّات المتحفّزة للتطلّع وإحداث النُّقلة المحققة للطمأنينة والرّضاء النفسي).

ولذا فالإصلاح يُحدث النُّقلة من الآتي:

. من الجهل إلى المعرفة.

. من الغفلة إلى الصّحوة.

. من الحالة الانسحابية إلى الحالة التطلعية.

. من الأنانية إلى الموضوعية.

. من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النّفس.

وعليه:

. سابق الزمن حتى تسبقه.

. تطلّع للمستقبل وأعمل على صناعته.

. خطط وفقا لدائرة كلّ شيء ممكن (متوقّع وغير متوقّع).

. أعمل على إحداث النُّقلة فهي لم تكن من المستحيلات.

. الحياة حركة فلا تركن للسّكون.

الإصلاح تكاملي شمولي:

الإصلاح في العلوم الاجتماعية يؤسس على دراسة وافية وفقا لعمليات موضوعية هي تجميع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالة والعلاج والتقويم. ولذلك تمتدّ عملية الإصلاح لتشمل المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والمجال النفسي والذّوقي والثقافي. ولذا فأيّ غفلة عن جانب من هذه الجوانب الرّئيسة تُعد العملية الإصلاحية غير متكاملة؛ ممّا يعرِّض المعالجات إلى الانتكاسة في أيّ وقت من الأوقات. ولذا فالإصلاح شمولي من حيث إجراء عمليات الدّراسة على امتداد المجالات السّابقة، ومن حيث التكاملية: ألا يغفل الأخصائي الاجتماعي في دراسته عن الذين تربطهم علاقة بالحالة أو المشكل قيد الدّراسة والبحث.

وبما أن الإصلاح شمولي تكاملي.

إذن يجب على الأخصائي الاجتماعي أن يلم بالحالة قيد البحث والدراسة وحدة واحدة، حتى يتبين أثر المتغيرات على شخصية العميل وأثرها على محيطه الاجتماعي والإنساني. أمّا إذا درس الحالة وفق مجال واحد أو مجالين فإنّ دراسته بطبيعة الحال ستكون قاصرة عن بلوغ الغايات التي من ورأى إحالة الحالة إليه، ليقوم بالبحث في أغوارها ودراستها دراسة موضوعية. ولهذا فدراسة الحالات الاجتماعية تتطلّب من الأخصائي الاجتماعي ألا يقصُر دراسته على متغيّرٍ واحدٍ

أو متغيرين أثناء تناولها بالبحث والتقصي الموضوعي، بل عليه أن يلمّ بالعلل والمسبّبات التي تكمن أو تظهر في معطيات الحالة قيد الدّراسة تكاملا وشمولا.

وللتمييز بين الإصلاح التكاملي والشمول أقول:

الإصلاح التكاملي: هو الذي يؤسّس على دراسة الحالات من جميع مجالات امتدادها (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية). فهذا الإصلاح هو الذي يقابله الإصلاح النسبي، الذي يحدث فيه الإهمال أو الإغفال عن تناول بعض المجالات ذات العلاقة؛ ممّا يجعل الحالة المدروسة لا تحقّق الإصلاح التكاملي نتيجة إغفال الأخصائي عن تناول بعض المجالات المهمّة في دراسة الحالة.

الإصلاح الشمولي: هو الذي يمتدّ لمتابعة الحالة من خلال من يتعلّق الأمر بهم مباشرة، ثمّ الآخرون الذين يتعلّق الأمر بهم بشكل غير مباشر. فالعاملون في مؤسّسات المجتمع الإنتاجية عندما لا يحقّقون ربحية للمجتمع يضعون في دائرة المسائلة القانونية. ما يجعل الضّرورة تستوجب دراسة الحالة بإجراء مقابلات مع المسؤولين في المؤسّسة بالدرجة الأولي، ومع مساعديهم بالدّرجة الثانية، ومع بقية العاملين بالدّرجة الثالثة. ثم مع الآخرين الذين لهم علاقة بإلحاق الضّرر

بإنتاجية المؤسّسة وهم من خارجها كالمصارف المركزية، والأجهزة الرّقابية التي لم تُنبه عن الحالة التي ألمت بالمؤسّسة التي كانت تعدّ من المؤسّسات الإنتاجية المتميزة، والمعدّة من المؤسّسات المعتمد عليها في صناعة المستقبل المأمول.

وعليه:

فإنّ إصلاح أحوال المجتمعات يُسهم في دفعها إلى التقدّم الحضاري والمعرفي في ميادين العلم، وينمي أحوال أفرادها وجماعاتها ويحفِّزهم على التعاون البناء، ويُمكِّنهم من التخطيط للمستقبل، ويدفعهم إلى المشاركة الفعّالة. أما الفساد الاجتماعي فلا يؤدّي إلا للتخلف وفقدان الثقة بين النّاس. ومن ثمّ فلا إمكانية لإصلاح أحوال الشّعوب ومسؤوليها مفسدون. ولهذا لا إصلاح يفيد، بل المفيد هو بلوغ الحلّ الذي لا يكون فيه فاسد على قمّة السّلم السّلطاني.

ولأنّ الإصلاح لا يكون إلّا لفاسدٍ؛ فلا إمكانية لغض النّظر عن الفاسدين والمفسدين لتصبح النتيجة (إصلاح وحلّ) ولأجل الإصلاح وصُنع المستقبل عليك بالآتي:

. أهّل نفسك.

. نمّي قدراتك.

. هيئ استعداداتك.

. نوّع مهاراتك.

. عدّد خبراتك.

. أنجز أهدافك.

. أبلغ غاياتك.

. اصنع لك مستقبلا.

. استوعب من حولك.

. تحدّى الصّعاب.

. فكّر في المتوقّع وغير المتوقّع.

. أبحث عن المجهول حتى تكشف أوراقه.

. أعمل على إحداث النُقلة فلا مستحيل في دائرة الممكن.

لذا إن أردنا صُنع مستقبلٍ؛ فعلينا بالإصلاح دون أن نقف عنده؛ فهو لم يكن الغاية، الغاية بلوغ الحلّ.

ومن هنا؛ فالعلاقة وثيقة بين توفّر المقدرة على الإصلاح وبين توفّر الإمكانات الدّاعمة والدّافعة في الاستمرار الإصلاحي (الاستمرار

في التقدّم) ولهذا فالنُدرة والشُّح من العوائق الضّارة في طريق العمليات الإصلاحية وفي طرق التّقدم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي والذوقي والثقافي.

ومع أنّ الإصلاح ضرورة، ولكنّه مكلف، فلا ينبغي أخذه هدفا، فما ينفق على الإصلاح في كثير من الأحوال يكون مساويا لما ينفق من أجل الحلّ، ولهذا كلّ الشّعوب التي تعتمد على إصلاح أحوالها؛ فأحوالها لم تتحسّن، ولهذا فإن أرادت تحسنا فعليها بالعلاج، أمّا الإصلاح فهو على تماثل مع الإسعاف الذي لا يزيد عن كونه للضرورة، ولأجل الإنقاذ والتمكّن من بلوغ العلاج.

ولذا فعلى المهتمّين في الدّولة بشؤون صُنع المستقبل أن يغرسوا في الأفراد والجماعات طموحات تمكّنهم من استثمار إمكاناتهم وطاقاتهم إبداعا وإنتاجا، وأن يغرسوا الثّقة فيهم قدرة وتحدٍّ، وأن يجتثوا اليأس والقنوط من نفوسهم.

ولأنّه لا حدود للطّموحات، والطّموحات متنامية، فلا ينبغي على الإنسان أن يجعل طموحاته مغلقة، فكلما تحقّق للإنسان طموحا تولد عنده أكثر من طموح جديد. ولهذا فالإنسان باستمرار هو في حالة رقي قيمي ومعرفي، وفي حالة تطوّر في اتجاه مسابقة الزّمن. ولأنّ الإصلاح الاجتماعي يُمكّن الذات من الاعتماد على قدراتها

واستعداداتها ومهاراتها وخبراتها الفردية والجماعية والمجتمعية، لذا فهو كفيل بتحقيق النُقلة وصُنع المستقبل.

إذن الإصلاح يُمكّن من الاعتماد على القدرات والاستعدادات والإمكانات والمهارات المتنوّعة، ومن لم يُمكّن من ذلك سيكون عالة على الدّولة وجهود الغير، وسيجد نفسه يوما في حاجة لمن يقدّم له المساعدة.

وعليه:

. شارك الآخرين تزداد قوّة.

. نمّي قدراتك تزداد عطاء.

. استثمر إمكاناتك تكسب.

. هيئ استعداداتك تتقدّم.

. تأهّب للعمل ولا تتردّد.

. استثمر طاقاتك وشارك الآخرين الذين لسان حالهم:

. نحن القوّة المتمكّنة من إحداث النقلة.

. نحن القدرات المستوّعبة لكلّ جديد.

. نحن الاستعدادات المتهيئة لكلّ ممكن.

. نحن الإمكانات المستثمرة لكلّ متاح.

. نحن السّاعون إلى المزيد ارتقاء.

. نحن القوة الصّانعة للمستقبل.

. نحن الذين لنا غايات من وراء غاياتنا.

. نحن الذين لنا آمال من وراء كلّ أمل.

وعليه:

فالفرد طموحا كلّما حقّق طموحا من طموحاته تولَّد لديه طموح آخر أعظم واكبر، وهكذا هي الطّموحات تتولّد وتتنامى من جيل إلى جيل في سباق مع الزّمن من أجل صُنع المستقبل. ولذلك ترتقي الشّعوب كلّما ارتقت طموحاتهم وتنوّعت.

الإصلاح الاجتماعي تأهيلا:

يعتمد الإصلاح الاجتماعي تأهيلا على الأهداف الآتية:

. تمكين الأفراد من التأهيل القيمي والمعرفي الذي يمدّهم بالثقة ويحسّسهم بالمقدرة على المشاركة والتفاعل والإنتاج.

. تأهيل الأفراد بالمهارات المتنوّعة التي تُحفِّزهم على دخول ميادين العمل والمشاركة الاجتماعية وفقا لقدراتهم واستعداداتهم ورغباتهم.

. تنمية قدرات الأفراد حتى يتمكّنوا من استيعاب الجديد المفيد، ويتمكنوا من الإقدام على العمل المنتج.

. مراعاة قدرات أفراد المجتمع والفروق الفردية التي بينهم حتى يتمّ توجيههم لِما يؤهّلهم ويُمكّنهم من إيجاد فرصة العمل المناسب لقدرات كلٍّ منهم.

. تهيئة استعدادات أفراد المجتمع للتأهيل الذي يُمكِّنهم من الاعتماد على ذواتهم.

. تهيئة استعدادات الأفراد أو الجماعات لقبول تحدّي الصّعاب ومواجهتها بدون خوف، حتى لا تكون المخاوف عوائق بينهم وبين المستقبل الأفضل.

. تفطين الأفراد والجماعات من غفلتهم عن الإمكانات الاجتماعية المتاحة واستثمارها الاستثمار الأمثل حتى تعود عليهم بالمكاسب المشبعة لحاجاتهم المتطوّرة وحاجات من تربطهم بهم علائق أسرية أو عائلية واجتماعية أو وطنية وإنسانية.

. معرفة الإمكانات المتاحة والمتوفّرة لأفراد المجتمع وتسخيرها واستثمارها فيما يفيد وفقا لخطة موضوعية.

. إعداد البرامج والخطط التي تستوعب الطّاقات البشرية الهائلة وتوجهها لِما يتناسب وتأهيلها لأداء الوظائف وحمل المسؤوليات.

. تأهيل الأفراد بما يتجاوز بهم أداء المهام اجتماعية إلى أداء المهام الوطنية والإنسانية.

. تقدير الفروق الفرية ومراعاتها عندما يخضع الأفراد أو الجماعات إلى التأهيل المهني أو الحرفي، أو الخدمي، فكل حسب المؤهل إن وجد وحسب الخبرة والمهارة والإمكانات الفردية.

. أعداد برنامج وخطة لمن يحتاجون إلى إعادة تأهيلهم نتيجة لضعف قدراتهم أو نتيجة لتطوُّر المهنة أو الحرفة التي سبق لهم وأن تأهلوا على ممارستها أو مزاولتها، حتى يستمروا في أداء وظائفهم الاجتماعية، ولا يصبحوا عالة على غيرهم.

. تدعيم الذين ضعفت قدراتهم السّمعية أو البصرية أو العقلية بما يعوّضهم عن ذلك ويمكّنهم من المشاركة والتفاعل مع محيطهم الاجتماعي أو الوطني أو الإنساني.

. توجيه ذوي الاحتياجات الخاصة نحو استخدام الوسائل الحديثة والمتقدّمة علميا لتأدية الأدوار المطلوبة منهم بما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم واستعداداتهم.

. تمكّين الأفراد من معرفة قدراتهم واستعداداتهم يُمكّنهم من المزيد من العطاء ويدفعهم إلى استثمار إمكاناتهم وفقا للتغيُّرات المتوقّعة وغير المتوقّعة وبما يحقّق لهم النجاح.

. مراعاة الفروق الفردية للأفراد والجماعات عند إخضاعهم لعمليات التأهيل تُحفَّزهم على التوافق والانسجام الاجتماعي.

. دفع مؤسّسات الدّولة وهيئاتها وجمعياتها الخيرية إلى استيعاب الطّاقات البشرية المؤهّلة على الأداء الاجتماعي السليم، وإعداد البرامج العلمية المتطوّرة في تنمية مواهبهم وقدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم المختلفة والمتنوّعة.

. العمل على إعادة تأهيل الأفراد الذين قد لا يُوفّقون في تأهيلهم السّابق ودعمهم لأجل أداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعية على الوجه السّليم.

. توجيه أصحاب القدرات الضّعيفة إلى ما يتلاءم وقدراتهم من أعمال حتى لا يتمّ استغلالهم من قبل البعض في غير ما يجب قيميا أو سلوكيا.

وعليه: إذا توافق التأهيل مع القدرات والاستعدادات والإمكانات تمكّنت مؤسّسات الدّولة من استيعاب الطّاقات البشرية المحققة لإحداث النقلة وصناعة المستقبل الذي يُحقق أمل الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وإذا لم يتوافق التأهيل مع القدرات والاستعدادات والإمكانات، يعتبر الجهد المبذول والزّمن المستغرق والإمكانات المسخّرة للتأهيل مضيعة للوقت والجهد وخسارة لإمكانات المجتمع التي تمّ هدرها في غير أوجهها.

صُنع المستقبل توافقا:

إنَّ تدعيم العلاقات الإيجابية بما يُشبع حاجات أفراد المجتمع في ضوء الموارد المتاحة والتوقّعات المحتملة، وعدم إجبارهم على ما لا يرغبون بما يترك لهم فسحة في الاختيار الإرادي ويُمكّنهم من تكوين علاقات مرضية تجعلهم في حالة توافق وانسجام اجتماعي وإنساني، ولأجل ترسيخ ذلك ينبغي مراعات الآتي:

. تدعيم العلاقات الإيجابية بين أفراد المجتمع ومؤسّساته تحقيقا للتوافق الاجتماعي الذي يؤدّي إلى تقوية الوحدة الوطنية وتحقيق النُقلة.

. معرفة حاجات الأفراد، ومعرفة إمكاناتهم المتاحة، وتوجيههم إلى ما يتناسب مع إمكاناتهم وظروفهم الخاصّة.

. التأكيد على أنّ الحاجات البشرية متطوّرة عبر الزّمن، فينبغي التحريض على التمكّن ممّا يمكّن من مواكبة مشبعاتها حتى لا يصبح المواطنين على الحاجة.

. تنبيه المسؤولين في مؤسسات المجتمع الحكومي والمدني على رسم الخطط وفقا للموارد المتاحة، ولا يعتمدون خططهم على موارد أو إمكانات ليس بالمتاحة أو ليس بمسيطر عليها من قبلهم.

. التعرّف على مصادر الإشباع في البيئة الاجتماعية وتوجيه الأفراد والجماعات إلى تلك المصادر لاستثمارها الاستثمار الأمثل.

. مراعاة مطالب الأفراد ورغباتهم والعمل على ما يؤدّي إلى التوافق بين مطالبهم والموارد البيئية المتاحة.

. رسم الخطط والاستراتيجيات وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) حتى لا تحدث المفاجئات أو الاستغراب، وإذا ما حدثت تتم السيطرة عليها وفقا للخطط والاستراتيجيات البديلة.

. التحريض على ترك مجالات للاختيار الإرادي وإزالة الأساليب الجبرية من قواميس التعامل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات وتدعيم القيم الممكُنة لهم من تحقيق التوافق الاجتماعي.

. العمل مع أفراد المجتمع بكلّ شفافية ووضوح حتى لا تحدث المفاجئة للأفراد أو الجماعات فيما كانوا يتوقّع.

. مراعاة الرّغبة الموضوعية وتحفيز الأفراد والجماعات والمجتمعات من التطلّع والتمسّك بالآمال، وعدم وضع العوائق الحائلة بينهم وبينها.

. إعطاء فُسحة للإرادة والعمل على ما من شأنه أن يُسهم في تقويتها ويُمكِّن النّاس من تحقيق الطموح.

. العمل مع أفراد المجتمع دون غض النظر عن رغباتهم في حدود صلاحيات وإمكانات المؤسّسة.

. العمل على صياغة نصوص وبرامج وسياسات واستراتيجيات تؤدّي إلى تكوين علائق مرضية بين المعلم والمتعلم وبين المقرر، وبين المسؤول والعاملين في إدارته، وبين أفراد المجتمع وجماعاته وبين النظم والقوانين التي يتمّ بها تسيير النظام العام في الدّولة أو المجتمع.

. تفهّم ظروف النّاس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية، وتقديرها حقّ قدرها بالبحث والدّراسة وبالمراعاة الموضوعية التي تجعل أفراد المجتمع أكثر استجابة.

. تعزيز الانسجام الاجتماعي بدعم القيم البناءة التي تساعد على التنمية البشرية والتطوّر الاجتماعي.

. تقوية إرادة الأفراد حتى يتمكّنوا من تحقيق الانسجام فيما بينهم، ومع محيطهم الاجتماعي والإنساني.

. نزع قيم الفشل من أذهان الأفراد وغرس قيم النّجاح بدلا منها، من خلال البرامج الموجهة لتحدّى الصعاب.

. فتح مكاتب إرشادية داخل المؤسسات الخدمية والإنتاجية تُحفّز الأفراد على العمل والإنتاج واحترام الوقت والمواعيد وظروف العمل والتعاون من أجل مجتمع التمسّك بقيم التوافق الممكن من صُنع المستقبل.

. إقامة المؤسسات الثقافية الداعية للحوار بين أفراد المجتمع لتكوين علائق اجتماعية على درجة عالية من الانسجام والتماسك.

وعليه فالمجتمع المتوافق هو:

. المجتمع الذي يعيش أفراده وجماعاته حياة الانسجام.

. المجتمع الذي يتطلّع لكلّ موجب مفيد.

. المجتمع الذي تسود أفراده وجماعاته الإرادة الحرّة.

. المجتمع الذي يُقدّر قيمة الاستيعاب.

. المجتمع الذي تَخلَّصَ من القوانين والتشريعات الفوقية.

. المجتمع الذي لا ينوب فيه أحد عن أحد، أو تغيب فيه فئة أو تُحرم من ممارسة حقوقها وتأدية واجباتها وحمْل مسؤولياتها.

. المجتمع الذي يعيش أفراده حياة المتطلعين إلى المزيد العلمي والمعرفي والرّفاهي.

. المجتمع الذي أعتمد قيمة الشفافية في قاموسه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

ولذا فإنّ التوافق الاجتماعي يحقّق علائق إيجابية، وفي المقابل انعدامه يدلّ على وجود علائق سلبية. ولأنّ التوافق إرادي فعلائقه طبيعية، حيث لا اصطناع. ومن ثمّ؛ فكلما تحقّق التوافق الاجتماعي كانت أساليب ممارسة الحرّية بين النّاس ديمقراطية. وبما أنّ التوافق إرادي وتربطه علاقة مباشرة بممارسة الدّيمقراطية، ويحقّق الانسجام بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، إذن وجب الأخذ بالآتي:

. حث أفراد المجتمع على القبول بالمشاركة في إحداث التغييرات المرغوبة، في مجال العلائق القيمية الاجتماعية ومجال العلائق القيمية الإنتاجية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية، وقبول ما يترتّب عليها من تعديلات في السّلوك الفردي والجماعي والمجتمعي.

. الالتزام بمبادئ مؤسّسات الدّولة التي تهدف إلى إحداث تغييرات إيجابية على أقوال وأفعال وسلوكيات العاملين.

. وضع برامج عملية لتحقيق ما تهدف إليه مؤسّسات الرعاية والخدمة الاجتماعية من إصلاحات في قيم الأفراد والجماعات والمجتمعات لأجل إحداث تغييرات مرغوبة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ونفسيا وذوقيا وثقافيا.

. مراعاة الفروق الفردية والجماعية والمجتمعية، وتقديرها في مقابل التلاؤم مع النّظم السائدة في البلاد.

. تحريض الأفراد على تنمية قدراتهم وتوجيهها الوجهة الصّائبة وفقا للأهداف المرسومة والخطط المعدّة لذلك، مع عدم الإغفال عن الرّغبات والطموحات التي قد لا تستطيع قدرات الأفراد على ملاحقتها وتحقيق إشباعات مرضية لها، وذلك لأسباب موضوعية، ما يجعل الضّرورة تتطلّب التلاؤم مع القدرات المحدودة.

. حث الأفراد على التلاؤم مع نّظم الدولة قدر الإمكان حتى يستطيعوا أداء مهامهم الاجتماعية والإنسانية بدون عوائق، والقبول باتباع الإجراءات المعمول بها في البلاد كأمر واقع إلى أن يحدث التغيير المناسب لكلِّ عائق.

. إقناع الأفراد بوجوب العمل والمشاركة الإيجابية في ضوء قدراتهم، إلى أن يتمّ تطويرها وتنميتها ببرامج وفقا للإمكانات المتاحة والمتوفّرة للمؤسّسة.

. إعداد الخطط والبرامج التي تتلاءم مع الموارد المتاحة للمجتمع، ودفع الأفراد والجماعات والمتخصصين والمتفوقين منهم على المشاركة في تنميتها وتطويرها لِما هو أفضل.

. عقد الندوات والمؤتمرات المهنية لإيجاد مخارج منطقية وموضوعية لتحقيق الموائمة بين جهود المؤسّسات الاجتماعية والبيئة المحيطة.

. التعرّف على الموارد المتوفّرة في المؤسّسة والموارد المتاحة في البيئة الاجتماعية المحيطة، وتوجيه الأفراد وفقا لبرامج وخطط معدّة إلى الاستفادة منها.

. موائمة العملاء مع بيئاتهم الاجتماعية بعد أن فقدوا أساليب التكيف معها، وذلك بتهيئة الأفراد لتقبل محيطهم الاجتماعي على

المستوى الأسري ومستوى العمل أو التعليم ومستويات ممارسة المناشط.

. المشاركة في المناشط الثقافية وبرامج التوعية الاجتماعية لحث أفراد المجتمع ومؤسّساته على استيعاب الظّروف السّائدة، وتنقيتها من الشوائب التي علقت بها وساهمت في سكون حركة المجتمع أو ساهمت في تأخّره عن ركب الحضارة ومتغيرات العصر.

. البدء مع الأفراد والجماعات والمجتمعات من حيث هم والعمل معهم بهدف استيعاب المتغيرات الطّارئة، سواء أكانت اجتماعية أ اقتصادية أم سياسية أم نفسية أم ذوقية أم ثقافية.

. حث الأفراد على استيعاب الظّروف السّائدة في مجتمعهم، وقبولها بأسباب الضّرورة وليس بأسباب الوجوب، حيث الضّرورة تجعل الأفراد يقبلون بتقديم التنازلات إلى حين إحداث التغيير، والوجوب لا يُقدِّم إلّا في محله المناسب له.

. تدعيم الصّلة بين الفرد والأسرة وبين الأسرة والمجتمع المحلي وبين المجتمع المحلي ومؤسّسات المجتمع الحكومي والمجتمع المدني، وحثهم على تقبّل بعضهم بعضا.

. العمل مع الأفراد والجماعات ومع مؤسسات المجتمع الحكومي والمجتمع المدني، على تحقيق التكيف الاجتماعي، الذي يُمكّن من استقرار الأمن الاجتماعي لأبناء البلاد.

. دفع الأفراد إلى ما يُمكِّنهم من استيعاب المتغيرات الجديدة مع التمسّك بالقيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع والتي لا تشكل عائقا أمام التطلّع إلى ما هو مفيد ونافع.

. تفطين الأفراد لأهمية التكُّيف الإرادي الذي يترتّب على ما وصل إليه الأفراد من توافق؛ فالتوافق في أساسه إرادي. والتكيف في معظمه لِما تتطلّبه الضّرورة، ولكن بطبيعة الحال الإنسان المتوافق يتكيف بإرادة مع من يتوافق معه.

. تعريف النّاس في المؤسّسات والنوادي والجمعيات الأهلية بأنّ استيعاب المتغيرات في بعض الأحيان تكون للضّرورة المؤقّتة وذلك بغرض تجاوز أزماتها بسلام.

وعليه:

كلّما كان المجتمع أو الشّعب متوافقا كان الأمن سائدا، والمحبّة بين النّاس سائدة وتزداد ترسّخا، ومن هنا يصبح للشعب كرامة، ولأجل ذلك ينبغي ألا يتمّ الإغفال عن الآتي:

. ترسيخ القيم الإنسانية بين الأفراد والجماعات والمجتمعات بما يُمكّنهم من التطلّع لكل مفيد ونافع.

. ترسيخ القيم والفضائل الاجتماعية في عقول الأفراد ومعارفهم.

. ترسيخ القيم التي يرتضيها المجتمع في كلّ ما يقال وفي كلّ ما يُكتب أو يقرّر من مقررات على المتعلمين، أو الذين يمرّون بظروف تجعلهم نزلاء في مؤسسات الإصلاح الاجتماعي.

. ترسيخ الفضائل الإنسانية التي تمدّ بالجديد وتطوي مسافات التباعد وتزيل كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى اتخاذ المواقف المضادّة بين الأمم والشّعوب.

. ترسيخ القيم والفضائل الإنسانية في تبادل الكَلِمْ الطيب وفيما تحتويه وتتضمنه المقررات التعليمية والثقافية وما تؤدّيه وسائل الاتصال من رسائل للأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية.

. تجسيد القول الحقّ والقيمة الحقّ في الأفعال التي يتمّ الإقدام عليها من قبل الأخصائيين الاجتماعين والنفسيين الذين يتولوا حالات الأفراد بالدّراسة الموضوعية.

. العمل على إظهار القدوة الحسنة في المسلك، على الملأ حتى يتمّ الاقتداء الحسن.

. ترسيخ القيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية في الأفعال بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، من خلال برامج وخطط معدّة واستراتيجيات مرسومة لذلك.

. ترسخ القيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية في السّلوكيات البشرية، من خلال التدريب والمشاركة والتعاون والتفاعل في كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى لقاءت جماعية أو مجتمعية حتى تتحقّق القدوة في المهارة والمسلك.

. احترام الإنسان باعتباره قيمة إنسانية، حتى وإن أخطأ؛ فهو قيمة لا ينبغي التفريط فيه، والعمل على دراسة حالته إن انحرف وذلك بغاية الإصلاح والعودة به للحاضنة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

. تحسيس النّاس بما يُشعرهم بقيمهم وأهميتهم، واعتبارهم وتقدير خصوصياتهم.

. التأكيد على أهمية الكرامة الإنسانية في المعاملات الرّسمية وغير الرّسمية.

. تنمية روح الاعتزاز لدى الأفراد بالنفس وبالانتماء للقيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية.

. المساهمة في بناء الذّات الاجتماعية لدى الأفراد حتى يتمكّنوا من العودة إلى دوائرهم الاجتماعية وتنموا روح الانتماء الاجتماعي لديهم بحيويّة أكبر.

. تنمية روح الاعتزاز بالأنفس بما يُضفي روح الهيبة ويحقّق التقدير للذين تعدّ المناهج والبرامج بشأنهم.

. الانتماء الاجتماعي من خلال تنمية قيم الأسرة والوطن في نفوس الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية.

. تنمية روح التطلّع لدى الأفراد وغرس القيم الاستيعابية في ثقافاتهم حتى يتطلّعوا إلى مستويات الرّقي القيمي على المستوى الإنساني.

. تحسيس الأفراد بأنّ لهم كرامة من خلال تقديرهم والاعتراف بهم وبما يقدمون عليه من مهام وما يحملونه من مسؤوليات جسام في حياتهم الاجتماعية والإنسانية.

وعليه:

. عليك بالإقدام على تنمية قدراتك حتى تكون لك كرامة.

. أعتز بذاتك حتى يرضى عنك المجتمع الذي تنتمي إليه.

. أكّد كرامتك بتنمية روح الاعتزاز في نفسك.

. استقراء التاريخ لتستمدّ منه العبر.

. تمسّك بما لك واعترف بما للآخرين.

. ثق أنك قوّة وتطلّع بها لإحداث النقلة.

ومع أنّ الكرامة قيمة عظيمة؛ لكنّها في حاجة للتأكيد عليها، والتأكيد عليها يتطلّب الآتي:

. الإخلاص في العمل.

. الجد والاجتهاد حتى التفوق.

. الإقدام على الفعل والسّلوك بموضوعية.

. الإنجاز في الوقت والمكان المناسبين.

. الإبداع وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقعّ.

. الاشتراك في صناعة التاريخ.

. التطلّع بلا حدود وإلى النّهاية.

. تحدّي الصّعاب ومغالبتها بالقوّة.

. الإقدام على صناعة المستقبل بلا تردّد.

. استخدام الحجّة بمنطق في القول والفعل والسّلوك.

. غرس الثّقة في النفس يقوّي الإرادة.

. تنوّع المهارات يمكّن من الفوز في ميادين المنافسة.

ولأنها كذلك فعليك بالآتي:

. تحدى بالحُجَّة.

. تحدى بالموضوعية.

. تحدى بكل ما يؤدي إلى صناعة المستقبل الأفضل.

. ثق إنّ الصّعاب العنيدة هي هشّة أمام التحدّي.

. أصمد فالصّعاب لا تصمد.

. أقدم على فعل الحقّ.

. الغي من قاموسك السلوكي مفاهيم التردّد.

. تعاون مع الآخرين تكسب الجولات.

. شارك الآخرون تزداد قوّة.

. تعاون مع الآخرين تطوي المسافات الصّعاب.

. استوعب الآخرين تزداد لُحمة.

. ناصر الحقّ حتى يهزم الباطل.

. تمسك بالوحدة الاجتماعية فالتمسك بها قوّة فاعلة.

. تعاون مع الآخرين في سبيل إحداث النقلة.

. تعاون معهم من أجل صناعة المستقبل.

. المشاركة في إنجاز الأعمال العظيمة يجعلك في حاجة لمن يمدّ يديه إليك مساعدا على النّهوض؛ فمدّ يديك إليه حتى تنهض. ولهذا؛ فلتقديم المساعد أو طلبها أهداف منها:

. استهداف القدرات الاجتماعية بالتنمية والاستثمار النافع والمربح للأفراد والجماعات والمؤسّسات الأهلية والحكومية.

. مساعدة الأفراد على استثمار ما لديهم من قدرات وإمكانات.

. تمكّين الأفراد من المشاركة الفاعلة لإحداث التغييرات الموجبة.

. تمكّين الأفراد من الاستفادة من إمكانات المؤسّسات الاجتماعية وبيئتهم المحيطة بما يعزّز قدراتهم على تحدّي الصَّعاب وتجاوزها.

. العمل على إعداد البرامج التدريبية والتأهيلية ووضع الخطط لاستثمار طاقات المجتمع الخلاقة، فيما يجب من خلال المؤسّسات والشركات العاملة في البلاد وبالتعاون مع الخبرة الأجنبية النافعة.

. الاتصال بالمسؤولين والمشرفين على إدارة مؤسّسات المجتمع المدني والمؤسّسات الحكومية للاستفادة من إمكانياتها في تطوير الحياة الإنتاجية والإبداعية لطاقات المجتمع الهائلة.

. الاستفادة من إمكانيات البيئة المحيطة، في تطوير مهارات الأفراد وتأهيلهم على ما ينبغي حتى يتمكّنوا من تجاوز المستوى الذي هم عليه من حيث مستوى الأداء الوظيفي أو المهني أو التعليمي، أو البنائي والعمراني.

. حث الأفراد على الاعتماد على طاقاتهم وقدراتهم ممّا يدفعهم للممارسة والفعل المحقّق للعائد الموجب.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات الذين يتولى الأخصائي الاجتماعي حالاتهم بالدراسة المهنية، وتوجيهها الوجهة الموجبة لإنجاز الأعمال التي تناط بهم أو تسند إليهم.

. وضع برامج لتنمية المهن والحرف والمناشط السائدة في إدارة مؤسّسات المجتمع الحكومي والمجتمع المدني، حتى تتمكّن جميع الطاقات البشرية من المشاركة في عمليات التنمية والبناء، وحركة التغيّر الاجتماعي.

. تمكين أفراد المجتمع من الاطلاع على المعارف والعلوم والاتصال ببيوت الخبرة حتى يتأهلوا على روح التطلّع التي تُمكّنهم من الإقدام على ما من شأنه أن يؤدّي إلى تطوير أحوالهم والرّفع من مستوياتهم القيمية ويزيدهم خبرة.

. استثمار الطّاقات الهائلة للأعمال المنتجة، وتوجيهها لأوجه الاستفادة التي تحدث لهم النُقلة.

. تمكين الأفران من الاستفادة ممّا تقدمه مؤسّسات الرّعاية والخدمة الاجتماعية من مساعدات هادفة لتؤهلهم إلى القيام بالإعمال التي يرتضيها ويفضلها المجتمع وتعود بالمكاسب المادّية والمعنوية على الأفراد وعلى المجتمع بأسره.

. حث الأفراد والجماعات على المشاركة التي تُمكّنهم من الاعتماد على النفس، بدلا من الاعتماد على الغير، حتى يتحمّلوا مسؤولياتهم ومسؤوليات الذين تربطهم بهم علائق اجتماعية ويتمكّنوا من معالجة إشكالاتهم دون الالتجاء للغير.

. اعتماد استراتيجيات ناجحة، لاستيعاب الطّاقات الهائلة في المجتمع وتوجيهها كلّ حسب التخصص والمؤهّل العلمي والمهني والحرفي والخبرة إلى ميادين العمل مع وضع برامج لتطوير هذه الطاقات المتنوعة والمتعدّدة بما يُسهم في تقدّم البلاد، وانسياب الخدمات فيها، بإدارة متابعة وملاحقة بكلّ جديد.

. تمكين الأفراد من المشاركة الهادفة التي تدعم مواقفهم الموجبة وتحسّن أحوالهم وتزيدهم قوّة وتوجههم الوجهة المناسبة لاهتماماتهم واستعداداتهم وقدراتهم حتى يتمكّنوا من المزيد في التفاعل والعطاء البناء.

. تعريف الأفراد الذين يواجهون مواقف إشكالية في حياتهم بأنّ كل الأفراد يتعرّضون إلى مواقف إشكالية، ولكن ليس كلّهم يقعون تحت طائلة أسرها، بل العديد منهم قد تغلّبوا على مشاكلهم بذاتهم وبتعاونهم مع الآخرين، وليس عيب أن يتعرّض الإنسان إلى مواقف وإشكاليات ولكن العيب ألا يستطيع الخروج منها.

. المشاركة في المناشط والبرامج التي تُسهم في إحداث التنمية البشرية الشاملة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية، وتشجيع الآخرين على المشاركة.

. إتاحة الفُرصْ للأفراد والجماعات لاستثمار قدراتهم وطاقاتهم الخلاقة فيما يُسهم في تحقيق التنمية البشرية.

. تقديم المساعدة الهادفة في حدود إمكانيات المؤسّسة الاجتماعية والبيئة المحيطة.

. إزالة العوائق التي تعترض سبل الأفراد في عمليات المشاركة والتعاون والتفاعل الاجتماعي والنفسي، أو تعترض سبيل الأفراد العاملين في تأديتهم للوظائف المناطة بهم.

. دفع أفراد المجتمع وجماعاته المتعدّدة إلى التمسك بالقيم الأخلاقية التي يرتضيها المجتمع.

. التقدير والثناء على كل مفردة من مفردات المجتمع الملتزمة بالأخلاق التي تأتي بعائد من الرّضاء الاجتماعي، حتى تزداد تمسّكا بكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى رضاء عنها.

. إعطاء فرص للاختيار الحرّ وفقا لرغبات كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ مجتمع، حتى يعم الرّضاء بينهم معاملة طيبة وسلوكا راقيا، وليتمكنوا من خلاله من نيل التقدير والاحترام المتبادلين.

. إعداد البرامج الوقاية من أيّ انحراف سالب قد يؤثّر على حركة المجتمع أو جزءا منه، فالوقاية تقوّي المناعة وتمدّ الأفراد بالطّاقات الموجبة تجاه الالتزام القيمي وتحقيق الأهداف الاجتماعية.

. المشاركة في تضمين القيم في المناهج والمقررات وفي برامج وسائل الإعلام المتعدّدة، تحصينا للأجيال بالقيم الموجبة، التي تسندهم في أيّ وسط قد يتواجدون فيه.

. تحصين الأفراد بالقيم والأعراف والإرشادات الدينية من الانحرافات السّالبة وتقليد الآخرين الذين ليس لهم شيء من السّلوك القدوة.

. العمل على إزالة العوائق وتحديد ماهيتها وأسبابها، وتوعية أفراد المجتمع بخطورتها لأجل تمكينهم من اكتساب الخبرة والمهارة.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 68 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له 83 مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 ـ طرق البحث الاجتماعي.

3 ـ الفكر والسياسة.

4 ـ الإسلاميات.

5 ـ الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

مواضيع المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا،

2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 ـ ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 ـ موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 ـ أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 ـ وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 ـ ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 ـ العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 ـ السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 ـ الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مبادئ التنمية البشرية تحت الطباعة.

86 . منابع الأمل تحت الطباعة.

87 . التهيؤ، تحت الطباعة.

89 . من الفِكَر إلى الفِكْر تحت الطباعة

90 . صُنع المستقبل.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب مفتشا عاما لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له 88 مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية